مذكرة فرق ٢

كلية العقيدة والدعوة

الشيعة :

المراد بالشيعة والتشيع :

تعريف الشيعة في اللغة : أطلقت كلمة الشيعة مراداً بها الأتباع والأنصار والأعوان والخاصة ، كما في قوله تعالى: {فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ}.

وتأتي كلمة شيعة بمعنى فرقة كما في قوله تعالى: {ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً} أي من كل فرقة وجماعة وأمة.

فالشيعة والتشيع في اللغة تدور حول معنى المتابعة، والمناصرة، والموافقة بالرأي، والاجتماع على الرأي.

الشيعة اصطلاحا : الشيعة اصطلاحا : هم الذين شايعوا عليًّا، رضي الله عنه، وقدموه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا بأنه أحق الناس بالإمامة وولده من بعده.

قال ابن حزم : (ومن وافق الشيعة في أن عليا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا)

نشأة التشيع وأثر عبد الله بن سبأ في ذلك : اختلفت أقوال العلماء من الشيعة وغيرهم في تحديد بدء ظهور التشيع تبعاً لاجتهاداتهم ، وحاصل الأقوال في ذلك ما يلي :

١ – أنه ظهر مبكراً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى يديه حيث كان يدعو إلى التوحيد ومشايعة علي جنباً إلى جنب، وقد تزعم هذا القول محمد حسين الزين من علماء الشيعة وغيره ، وذكره النوبختي أيضاً في فرقه ، والخميني وحسن الشيرازي.

٢ – أنه ظهر في معركة الجمل حين تواجه علي وطلحة والزبير، وقد تزعم هذا القول ابن النديم .

٣ – أنه ظهر يوم معركة صفين، وهو قول لبعض علماء الشيعة كالخونساري، وأبو حمزة، وأبو حاتم. كما قال به أيضاً غيرهم من العلماء، مثل ابن حزم، وأحمد أمين .

٤ – أنه كان بعد مقتل الحسين رضي الله عنه، وهو قول كامل مصطفى الشيبي وهو شيعي.

٥- أنه ظهر في آخر أيام عثمان وقوي في عهد علي .

وهذا القول هو الصواب لأن أول من أسس للتشيع هو عبد الله بن سبأ وهو رجل يهودي ، أسلم في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه- وتظاهر بمحبة أهل البيت ، وغلا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وزعم أنه الوصيّ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعن من غصب منه الخلافة ، وأظهر البراءة منهم ، وكفّرهم ، وكفرَّ من رضي بإمامتهم ، وزعم أن عليّا سيرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة ليقتص من أعدائه.

وهذا ما ذكره ابن جرير الطبري في تاريخه حيث قال : (كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله: {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد} ، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصيّ، وكان عليّ وصيّ محمد؛ ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء. ثم قال لهم بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ووثب على وصي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتناول أمر الأمة.

ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصيّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا الطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر، فبث دعاته وكاتب من كان استفسده في الأمصار، وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم) .

ومازالت تلك العقائد التي دعا إليها ابن سبأ تسير في نفوس أناس من أهل الزيغ والضلال وتتشربها قلوبهم وعقولهم حتى كان من ثمارها مقتل الخليفة الراشد ذي النورين عثمان ابن عفان – رضي الله عنه – على يد هذه الشرذمة الفاسدة.

حتى إذا ما جاء عهد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – بدأت تلك العقائد تظهر إلى الوجود أكثر من ذي قبل إلى أن بلغت علياً – رضي الله عنه – فأنكرها أشد ما يكون الإنكار وتبرأ منها ومن أهلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «ولما أحدثت البدع الشيعية في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ردها، وكانت (ثلاث طوائف) غالية، وسبابة ومفضِّلة. فأما الغالية فإنه حرقهم بالنار، فإنه خرج ذات يوم من باب كندة فسجد له أقوام، فقال: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو الله فاستتابهم ثلاثاً فلم يرجعوا فأمر في الثالث بأخاديد فخُدّت وأضرم فيها النار، ثم قذفهم فيها وقال:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً ... أججت ناري ودعوت قنبرا

وفي صحيح البخاري: (أن علياً أتى بزنادقة فحرّقهم وبلغ ذلك ابن عباس فقال: أما أنا فلو كنت لم أحرقهم لنهي النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يُعَذّب بعذاب الله ولضربت أعناقهم لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – من بدل دينه فاقتلوه) .

وأما السبابة: فإنه لما بلغه من سب أبا بكر وعمر طلب قتله، فهرب منه إلي قرقيسيا وكلمه فيه، وكان علي يداري أمراءه، لأنه لم يكن متمكنا ولم يكن يطيعونه في كل ما يأمرهم به. وأما المفضلة: فقال: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترين. وروي عنه من أكثر من ثمانين وجهاً أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ... » .

ثم إن التشيع والشيعة تطور إلى أقوال كثيرة متفرقة.

تطور مذهب التشيع : كان مدلول التشيع في بدء الفتن التي وقعت في عهد علي رضي الله عنه بمعنى المناصرة والوقوف إلى جانب علي رضي الله عنه ليأخذ حقه في الخلافة بعد الخليفة عثمان، وأن من نازعه فيها فهو مخطئ يجب رده إلى الصواب ولو بالقوة.

وكان على هذا الرأي كثير من الصحابة والتابعين، حيث رأوا أن علياً هو أحق بالخلاقة من معاوية بسبب اجتماع كلمة الناس على بيعته، ولا يصح أن يفهم أن هؤلاء هم أساس الشيعة ولا أنهم أوائلهم، إذ كان هؤلاء من شيعة علي بمعنى من أنصاره وأعوانه.

ومما يذكر لهم هنا أنهم لم يكن منهم بغي على المخالفين لهم، فلم يكفروهم، ولم يعاملوهم معاملة الكفار بل يعتقدون فيهم الإسلام، وأن الخلاف بينهم لم يعدُ وجهة النظر في مسألة سياسية حول الخلافة وقد قيل: إن علياً كان يدفن من يجده من الفريقين دون تمييز بينهم.

وقد أثمر موقف الإمام علي هذا فيما بعد، إذ كان تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية انطلاقاً من هذه المواقف الطيبة التي أبداها والده رضي الله عنهما.

ولم يقف الأمر عند ذلك المفهوم من الميل إلى علي رضي الله عنه ومناصرته، إذ انتقل نقلة أخرى تميزت بتفضيل علي رضي الله عنه على سائر الصحابة، وحينما علم علي بذلك غضب وتوعد من يفضله على الشيخين بالتعزير، وإقامة حد الفرية عليه .

وقد كان المتشيعون لعلي في هذه المرحلة معتدلين، فلم يكفروا واحداً من المخالفين لعلي رضي الله عنه ولا من الصحابة، ولم يسبوا أحداً، وإنما كان ميلهم إلى علي نتيجة عاطفة وولاء.

وقد اشتهر بهذا الموقف جماعة من أصحاب علي، قيل منهم أبو الأسود الدؤلي، وأبو سعيد يحيى بن يعمر، وسالم بن أبي حفصة، ويقال أن عبد الرزاق صاحب المصنف في الحديث، وابن السكيت على هذا الاتجاه .

ثم بدأ التشيع بعد ذلك يأخذ جانب التطرف والخروج عن الحق، وبدأ الرفض يظهر وبدأت أفكار ابن سبأ تؤتي ثمارها الشريرة فأخذ هؤلاء يظهرون الشر، فيسبون الصحابة ويكفرونهم ويتبرءون منهم، ولم يستثنوا منهم إلا القليل كسلمان الفارس، وأبي ذر، والمقداد، وعمار بن ياسر، وحذيفة.

وحكموا على كل من حضر ((غدير خم)) بالكفر والردة لعدم وفائهم –فيما يزعم هؤلاء – ببيعة علي وتنفيذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بعلي في غدير خم المذكور. وكان عبد الله بن سبأ هو الذي تولى كبر هذه الدعوة الممقوتة الكافرة، وقد علم علي بذلك فنفاه إلى المدائن وقال: ((لا تساكني ببلدة أبداً)) .

وأخيراً بلغ التشيع عند الغلاة إلى الخروج عن الإسلام، حيث نادى هؤلاء بألوهية علي. وقد تزعم هذه الطبقة ابن سبأ، ووجد له آذاناً صاغية عند كثير من الجهال، ومن الحاقدين على الإسلام. وقد أحرق علي رضي الله عنه بالنار كل من ثبت أنه قال بهذا الكفر

فرق الشيعة: اختلف العلماء في عدد فرق الشيعة، فالأشعري مثلاً يذكر أنهم ثلاث فرق رئيسية وهي أصول: الغالية، والرافضة الإمامية ، والزيدية، وما عداها فروع.

وعبد القاهر البغدادي يرجع فرق الشيعة إلى أربع فرق: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة.

والشهرستاني يرجعهم إلى خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية

وبالنظر إلى ما ذكره العلماء نجد أن الفرق الرئيسية للشيعة هي : ١- الكيسانية. ٢- والزيدية.

٣- والرافضة الإمامية. ٤ – والغلاة

ولا حاجة إلى ذكر فروع الفرق الشيعية ؛ لأن منها ما قد انتهى من الوجود ، ومنها ما هو داخل في فرقة من الفرق الموجودة اليوم ، فقد انقرضت كثير من الفرق الشيعية التي تزيد على ثلاث وسبعين فرقة ، وورثت عقائدها طائفة الاثني عشرية ولم يبق من الفرق المنتسبة إلى التشيع في عصرنا سوى ثلاث فرق ، يقول مرجع الشيعة المعاصر محسن الأمين : «

والموجود اليوم من فرق الشيعة هم : الإمامية الاثنا عشرية وهم الأكثر عددا ، والزيدية ، والإسماعيلية » ، ويقول د . علي سامي النشار : « تشمل الشيعة في عصرنا الحاضر فرقا ثلاثا هي : الاثنا عشرية ، والإسماعيلية والزيدية "
وأما أماكن وجود هذه الطوائف فسوف نذكرها عند دراستها .

الأصول العامة للشيعة : إذا نظرنا في عقائد فرق الشيعة نجد أنهم يتفقون في أصول أربعة وهي الإمامة والعصمة والمهدي والرجعة، وإليك بيانها

١ – الإمامة : الشيعة يتفقون على أن الإمامة ثابتة بالنص لعلي رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، لكنهم اختلفوا في الإمام بعد علي رضي الله عنه، فالسبئية قصرتها على علي رضي الله عنه وقالت بغيبته ورجعته، والكيسانية قالت: إن الإمام بعد علي رضي الله عنه محمد بن الحنفية، والزيدية تحصر الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة، أن يكون إماما واجب الطاعة، كان من أولاد الحسن، أو من أولاد الحسين رضي الله عنهما، وأما الرافضة الإمامية فقالوا إن الإمام بعد علي الحسن ثم الحسين ثم قصروها في أولاد الحسين.

٢ – دعوى العصمة : السبئية يعتقدون العصمة في علي رضي الله عنه، والزيدية تقول بعصمة فاطمة وعلي والحسن والحسين، والرافضة الإمامية ادعوا العصمة في الأئمة والأوصياء .

٣ – القول بالمهدي : كل طائفة منهم لها مهدي وغائب مكتوم، وتفرقوا في هذه الخرافة طوائف متعارضة: فالمهدي عند الكيسانية هو محمد بن الحنفية، وعند الاثني عشرية محمد بن الحسن العسكري، وعند بقية طوائفهم أئمة مهديون ينتظرون خروجهم بغتة يملأون الأرض عدلاً بزعمهم

٤ –الرجعة : فكرة الإيمان بالإمام الخفي أو الغائب توجد لدى معظم فرق الشيعة، حيث تعتقد في إمامها بعد موته أنه لم يمت، وتقول بخلوده، واختفائه عن الناس، وعودته إلى الظهور في المستقبل مهديًا، ولا تختلف هذه الفرق إلا في تحديد الإمام الذي قدرت له العودة، كما تختلف في تحديد الأئمة وأعيانهم والتي يعتبر الإمام الغائب واحدًا منهم، فالسبئية قالت: إن عليًا لم يقتل ولم يمت، ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملأ الأرض عدلاً وقسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا" ، ثم انتقلت هذه "الفكرة" من السبئية إلى بعض فرق الكيسانية كالكربية حيث قالت لما مات محمد بن الحنفية – وهو الذي تدعي أنه إمامها –: إنه حي لم يمت وهو في جبل رضوى بين مكة والمدينة عن يمينه أسد وعن يساره نمر موكلان به يحفظانه إلى أوان خروجه وقيامه ، وقالوا: إنه المهدي المنتظر ثم شاع التوقف على الإمام وانتظار عودته مهديًا بعد ذلك

بين فرق الشيعة.. فبعد وفاة كل إمام من آل البيت تظهر فرقة من أتباعه تدعي فيه هذه الدعوى.. وتنتظر عودته، وتختلف فيما بينها اختلافًا شديدًا في تحديد الإمام الذي وقفت عليه وقدرت له العودة – في زعمهم –

الرافضة: ١ – معنى الرافضة لغة واصطلاحاً:

الرفض في اللغة يأتي بمعنى الترك. يقال: رفض يرفض رفضاً، أي ترك.

وعرفهم أهل اللغة بقولهم: ((والروافض كل جند تركوا قائدهم)) ، هذا هو معنى الرفض في اللغة.

وأما في الاصطلاح: فإنه يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي صلى الله عليه وسلم، وأن خلافة غيرهم باطلة.

٢ – سبب تسميتهم بالرافضة: :

١ –قيل: إنهم سموا رافضة لرفضهم إمامة زيد بن علي، وتفرقهم عنه.

٢ –وقيل: سموا رافضة لرفضهم أكثر الصحابة، ورفضهم لإمامة الشيخين.

٣ –وقيل: لرفضهم الدين.

ولعل الراجح هو الثاني، ولا منافاة بينه وبين الأول، لأنهم كانوا رافضة يرفضون الشيخين وقد رفضوا زيداً كذلك إذ لم يرض مذهبهم. أسماؤهم قبل اتصالهم بزيد:

الأسماء التي أطلقت عليهم وسبب التسمية :

١ –الرافضة.

٢ –الخشبية: وسبب تسميتهم بالخشبية: أنهم –كما قيل– كانوا يقاتلون بالخشب ولا يجيزون القتال بالسيف إلا تحت راية إمام معصوم من آل البيت.

٣– الإمامية :وسبب تسميتهم بالإمامية: لزعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي رضي الله عنه نصاً ظاهراً ويقيناً صادقاً، ولم يكتف فيه بالوصف بل صرح بالاسم لعلي ولأولاده من بعده –كما يدعي هؤلاء.

مراحل تطور الرافضة وأثر الصفويين في ذلك : الرافضة مرت في نشأتها بعدة مراحل حتى أصبحت فرقة مستقلة متميزة بعقيدتها واسمها عن سائر فرق الأمة، ويمكن إبراز ذلك من خلال أربع مراحل رئيسة:

المرحلة الأولى: دعوة عبد الله بن سبأ إلى ما دعا إليه من الأصول التي انبنت عليها عقيدة الرافضة: كدعوته لعقيدة الرجعة وإحداثه القول بالوصية لعلي – رضي الله عنه – والطعن في الخلفاء السابقين لعلي في الخلافة.

المرحلة الثانية: إظهار هذا المعتقد، والتصريح به، وذلك بعد مقتل عثمان – رضي الله عنه – وانشغال الصحابة رضوان الله عليهم بإخماد الفتنة التي حصلت بمقتله، فوجد هؤلاء الضلال متنفساً في تلك الظروف، وقويت تلك العقائد الفاسدة في نفوسهم، إلا أنه مع كل ذلك بقيت هذه العقائد محصورة في طائفة مخصوصة ممن أضلهم ابن سبأ، وليست لهم شوكة ولا كلمة مسموعة.

المرحلة الثالثة: اشتداد أمرهم وقوتهم، واجتماعهم تحت قيادة واحدة، وذلك بعد مقتل الحسين – رضي الله عنه – للأخذ بثأر الحسين والانتقام له من أعدائه.

وكان سبب ذلك أن الشيعة ندموا على عدم مناصرة الحسين فكونوا جيشا عدده عشرون ألفا بقيادة سليمان بن صُرَد الخزاعي للأخذ بثأر الحسين، وفي هذه الأثناء قدم المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى الكوفة «فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيماً زائداً، وهم معدون للحرب، فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب وهو محمد بن الحنفية، ولقبه بالمهدي فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة، وفارقوا سليمان بن صرد، وصارت الشيعة فرقتين، الجمهور منهم مع سليمان، يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين، وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد بن الحنفية، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية ورضاه ، ثم خرج سليمان بن صرد بمن كان معه من الشيعة إلى الشام فاقتتلوا معهم قتالا شديدا ثم انتهى القتال بينهم بقتل سليمان بن صرد رحمه الله وكثير من أصحابه، وهزيمتهم، وعودة من بقي من أصحابه إلى الكوفة.

وأما المختار بن أبي عبيد: فلما رجع من بقي من جيش سليمان إلى الكوفة وأخبروه بما كان من أمرهم، وما حل بهم فترحم على سليمان ومن كان قتل معه، وقال: «وبعد فأنا الأمير المأمون قاتل الجبارين والمفسدين، إن شاء الله فأعدّوا واستعدوا وأبشروا» ، ثم شرع المختار يتتبع قتلة الحسين من شريف ووضيع فيقتله

المرحلة الرابعة: انشقاق الرافضة عن الزيدية، وباقي فرق الشيعة، وتميزها بمسماها وعقيدتها. وكان ذلك على وجه التحديد في سنة إحدى وعشرين ومائة عندما خرج زيد بن علي بن الحسين على هشام بن عبد الملك فأظهر بعض من كان في

جيشه من الشيعة الطعن على أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك، وأنكر عليهم فرفضوه، فسموا بالرافضة، وسميت الطائفة الباقية معه بالزيدية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن أول ما عرف لفظ الرافضة في الإسلام: عند خروج زيد بن علي في أوائل المائة الثانية، فسئل عن أبي بكر وعمر، فتولاهما فرفضه قوم فسموا رافضة»

ومنذ ذلك التاريخ، تميزت الرافضة عن باقي فرق الشيعة، فأصبحت فرقه مستقلة باسمهما ومعتقدها

والرافضة عند رفضهم لإمامة زيد جعلوا الإمام بعد علي بن الحسين ابنه محمد ثم ابنه جعفر ثم بعد جعفر حصل انشقاق في الإمامة فالرافضة قالت إن الإمام بعد جعفر هو موسى الكاظم، وقالت الإسماعيلية إن الإمام بعد جعفر هو إسماعيل بن جعفر ثم في ابنه إسماعيل ثم في محمد بن إسماعيل..إلى آخر أئمتهم المستورين ، واستطاعت فرقة الإسماعيلية أن تكون لهم دولة في شمال إفريقيا ثم في مصر .

والرافضة قالوا إن الإمام بعد جعفر موسى بن جعفر الكاظم ثم علي بن موسى الرضي ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري.

ثم بعد موت الحسن العسكري حصل خلاف بين الرافضة هل كان له ولد أم لا واستقر أمرهم على القول بإمامة ابنه محمد الذي لم يولد أصلا وقالوا إن وجوده ضروري على اعتبار أنه لا يجوز أن تخلو الارض من حجة ، وتبع ذلك إن اعتقد الرافضة أن المهدي له غيبتان صغرى وكبرى، وأنه كان يباشر إمامته للرافضة عن طريق أربعة من السفراء مات آخرهم في سنة ٣٢٩ هـ ، وأما الغيبة الكبرى فابتدأت سنة ٣٢٩هـ ولا تزال إل يومنا هذا

وقد غلا الرافضة في أئمتهم غلوًا فاحشا فادعوا فيهم العصمة والسلامة من الذنوب والخطأ والنسيان ، وجعلوا أقوالهم بمنزلة أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وألفت كتبًا في ذلك ،إضافة إلى ذلك أن آراء الفرق الشيعية الغالية تسللت في تلك الكتب على شكل روايات منسوبة للأئمة مما أدى إلى دخول آراء وعقائد الفرق الشيعة القديمة في المذهب الاثني عشري.

ومرّت العصور حتى جاءت الدولة الصفوية، والتي أسسها الشاه إسماعيل الصفوي الذي فرض التشيع الاثني عشري على الإيرانيين قسراً، وجعل المذهب الرسمي لإيران، وكان إسماعيل يشيع عن نفسه أنه معصوم وليس بينه وبين المهدي فاصل، وأنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة الاثني عشر .

ولقد تقلد سيفه وأعمله في أهل السنة، وكان يتخذ سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين، فمن يسمع السب منهم يجب عليه أن يهتف قائلاً: "بيش باد كم باد".. هذه العبارة تعني في اللغة الأذربيجانية أن السامع يوافق على السب

ويطلب المزيد منه، أما إذا امتنع السامع عن النطق بهذه العبارة قطعت رقبته حالاً، وقد أمر الشاه أن يعلن السب في الشوارع، والأسواق وعلى المنابر منذراً المعاندين بقطع رقابهم ، وكان إذا فتح مدينة أرغم أهلها على اعتناق الرفض فوراً بقوة السلاح.

ويروى عنه أنه عندما فتح تبريز في بداية أمره وأراد فرض التشيع على أهلها بالقوة، أشار عليه بعض شيوخهم أن يتريث، لأن ثلثي سكان المدنية من أهل السنة، وأنهم لا يصبرون على سب الخلفاء الثلاثة على المنابر، ولكنه أجابهم: "إذا وجدت من الناس كلمة اعتراض شهرت سيفي بعون الله فلا أبقي منهم أحداً حياً" .

ومن ناحية أخرى اتخذ مسألة قتل الحسين وسيلة للتأثير النفسي، بالإضافة إلى أسلوب التهديد والإرهاب فأمر بتنظيم الاحتفال بذكر مقتل الحسين على النحو الذي يتبع الآن عندهم . وأضاف إليه فيما يقال مجالس التعزية.

وهي التي يسمونها الآن "الشبيه" ويجرى فيها تمثيل مقتل الحسين.. فكان لهذا أثره على أولئك الأعاجم حتى رأى بعضهم أنه من أهم العوامل في نشر التشيع في إيران، لأن ما فيه من مظاهر الحزن والبكاء وما يصاحبه من كثرة الأعلام ودق الطبول وغيرهما يؤدي إلى تغلغل في العقيدة في أعماق النفس والضرب على أوتارها الكامنة" .

ولقد آزر شيوخ الروافض سلاطين الصفويين في الأخذ بالتشيع إلى مراحل من الغلو وفرض ذلك على مسلمي إيران بقوة الحديد والنار.

وكان من أبرز هؤلاء الشيوخ شيخهم علي الكركي ، الذي استحدث بدعاً جديدة في التشيع، فكان منها: "التربة التي يسجد عليها الشيعة الآن في صلواتهم. وقد ألف فيها رسالة سنة (٩٣٣هـ) ، كما ألف رسالة في تجويز السجود للعبد ، وذلك مسايرة للسلطان إسماعيل الصفوي الذي كان يغلو فيه أصحابه حتى إنهم يعبدونه ويسجدون له .

وكانت بدعه الكثيرة في المذهب الشيعي داعية للمصنفين من غير الشيعة إلى تلقيبه بمخترع الشيعة ثم نشأ الجيل اللاحق في جو المآتم الحسينية السنوية التي طورها الصفويون ليمتلئ الناشئ بتأثيرها حقداً وغيظاً حتى لا يكاد يستمع بسبب ذلك إلى حجة أو برهان.

وكان لكتاب المجلسي "بحار الأنوار" أثره في إشاعة الغلو بين الشيعة، حيث "جاء قراء التعزية، وخطباء المنابر فصاروا يأخذون منه ما يروق لهم وبذا ملؤوا أذهان العامة بالغلو والخرافة".

أصول مذهب الرافضة وأهم عقائدهم والرد عليها : للرافضة آراء اعتقادية كثيرة لا يتسع المقام هنا لبسطها، إلا أننا سنقتصر في دراستنا لآرائهم على أهم المسائل الاعتقادية عندهم، وهي على سبيل الإيجاز:

١-قصر استحقاق الخلافة في آل البيت. علي وذريته رضي الله عنهم، وأنها كانت بنص من النبي صلى الله عليه وسلم فيهم.

٢- دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء.

٣- تدينهم بالتقية.

٤- دعواهم المهدية.

٥- ودعواهم الرجعة.

٦- موقفهم من القرآن الكريم.

٧- موقفهم من الصحابة.

٨- القول بالبداء على الله تعالى.

وتوجد لهم آراء أخرى مثل دعوى النبوة في بعض من يتشيعون لهم، ومثل القول بالتناسخ والحلول، وغير ذلك، أما الآراء الاعتقادية عند الرافضة فتفصيلها كما يلي:

أولاً: موقفهم من الخلافة والإمامة: يعتبر الشيعة الإمامة وتسلسلها في آل البيت ركناً من أركان الإسلام، ويعتقدون أنها منصب ثبت من عند الله تعالى، يختار الله الإمام كما يختار الأنبياء والمرسلين.

والاثنا عشرية يحصرونها في علي وفي أولاده، ولا يصححونها في غيرهم، وفيما يلي نستعرض أهم آرائهم فيها:

١- الإمام له صلة بالله تعالى من جنس الصلة التي للأنبياء والرسل : روى الكليني عن أبي عبد الله أنه قال: ((أشرك بين الأوصياء والرسل في الطاعة))، وروى أيضا أن الإمام يوحى إليه كما يوحى إلى الرسول

٢- أن الإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله ، روى في الكافي ((روى أبو حمزة قال: قال لي جعفر ع: إنما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً. قلت: جعلت فداك. فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عز وجل، وتصديق رسوله -ع- وموالاة علي -ع- والائتمام به وبأئمة الهدى ع، والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم ...

هكذا يعرف الله عز وجل))

٣- حرفوا معاني القرآن الكريم إلى هواهم في الأئمة، ومن ذلك: تفسيرهم لقول الله عز وجل: {وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} النور: الإمام علي والأئمة من بعده، كما فسره أبو عبد الله –حسب زعم الكليني إلى غير ذلك من الآيات التي فسروها بمثل هذه المعاني الباطلة في كتبهم المعتبرة، وأهمها الكافي.

٤- زعموا في الأئمة أنهم هم الذين جمعوا القرآن كله كما أنزل ولا يعترفون بغير ذلك، وجحدوا جهود الخليفة الراشد أبي بكر رضي الله عنه، وأبيِّ بن كعب، وغيرهما من خيار الصحابة رضي الله عنهم.

٥- الأئمة عندهم اسم الله الأعظم ، وعندهم الجفر وهو وعاء من أدم – فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، وعندهم مصحف فاطمة، وفيه مثل قرآننا ثلاث مرات، وليس فيه من قرآننا حرف واحد .

٦–أن الأئمة لا يموتون إلا بمشيئتهم واختيارهم

أدلتهم على معتقدهم في الإمامة: الرافضة حين قصروا استحقاق الخلافة في علي رضي الله عنه وفي الأئمة من بعده تلمسوا لهم شبهاً كثيرة ودعاوى مردودة، على أن ما ذهبوا إليه هو الصواب كما يرون . نذكر منها ما يلي:

١- قالوا: إن أمر الإمامة لا يحتمل عدم البيان، والرسول صلى الله عليه وسلم بعث لرفع الخلاف، فلا يجوز أن يترك بيان الإمام الذي يليه إلى اختلافات الناس واجتهاداتهم .

٢- يستدلون ببعض الروايات الواردة في فضائل علي رضي الله عنه ومن ذلك:

أ – ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) .

ب – ((أقضاكم علي)) .

ج – ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)) زاد الرافضة في الحديث ((إنه لا ينبغي أذهب إلا وأنت خليفتي)) .

٣- استدلوا ببعض الاستنباطات من وقائع يزعمون أنها كانت من النبي صلى الله عليه وسلم تشير إلى خلافة علي منها:

أ- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر على علي أحداً من الصحابة، فحيثما انفرد عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أو سفر كان هو الأمير

ب- أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل علياً بسورة براءة ليقرأها على الناس في الحج مع أن أمير الحج هو أبو بكر

رضي الله عنه حينئذ، فأرجعه كما يزعم عبد الواحد الأنصاري

الرد عليهم : أن فضائل الإمام علي مما يتباهى به أهل السنة، ويحرصون على ذكرها، إلا أنه ليس فيما ذكره الرافضة من الأخبار ما يدل صراحة على ما زعموه.

فأما قولهم: إن أمر الإمامة لا يحتمل عدم البيان، وأن الرسول بيّنه –فصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّنه بمقدمات كثيرة، تدل على استخلافه لأبي بكر،ومن ذلك ما جاء عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه. قالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ كأنها تقول الموت. قال صلى الله عليه وسلم: ((إن لم تجديني فأت أبا بكر)) متفق عليه .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر)) رواه الترمذي، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: ((ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى: ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)) رواه مسلم.

وأحاديث أخرى كثيرة عرف منها الصحابة أحقية الصديق بالخلافة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس للرافضة في دفعها إلا الكذب والبهتان، وليس معهم أي دليل عن علي رضي الله عنه ثابت يدعي فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم نص على استخلافه ، بل إن ابن العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم طلب إلى علي أن يتحدث ويطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه ليوصي لبني هاشم بالخلافة، أو يوصي بهم الناس فأبى علي ذلك وقال: ((إنا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم)) وهذا يدل على بعد نظره وقوة فهمه رضي الله عنه، فلو كان يعلم نصاً في ذلك لما تردد في إعلانه، وقد دعت الضرورة إليه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما استدلالهم بقوله صلى الله عليه وسلم: ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) فجوابه: أن هذه الولاية لا تستلزم الولاية العامة بمعنى الإمارة. فقد وردت نصوص كثيرة فيها إثبات موالاة المؤمنين بعضهم لبعض في كتاب الله تعالى وسنة نبيه، وأن المؤمنين أولياء لله، وأن الله وملائكته والمؤمنين موالي رسوله.

كما أن الله ورسوله والذين آمنوا أولياء المؤمنين، وليس معناه أن من كان ولياً لآخر كان أميراً عليه دون غيره، وأنه يتصرف فيه دون سائر الناس، قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} وقال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ} {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} .

وولاية علي رضي الله عنه واجبة على كل أحد، من جنس موالاة المؤمنين بعضهم بعضاً، فكل من كان الرسول صلى الله عليه وسلم مولاه فعلي مولاه ولا شك، فالذي لا يتولى الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون ولياً لعلي رضي الله عنه، ولم يكن المراد من الحديث من كنت مولاه أي أميراً عليه فعلي مولاه أي أميراً عليه؛ لأن معناه لا يوحي بهذا.

وأما استدلالهم بحديث: ((أقضاكم علي)) فالجواب: أنه على فرض صحته ليس فيه نص على الخلافة لعلي، فإن معرفة الإنسان بشيء لا يلزم أن يكون هو المتولي له، فلا يلزم من معرفة الشخص للقضاء أن يكون هو الحاكم أو الخليفة للمسلمين, وهذا من جنس وصف الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد الصحابة بما يتميز به كقوله " أفرضكم زيد " وقوله : " أعلمكم بالحلال والحرام معاذ " وقوله : " أقرؤوكم أبي " .

وهكذا كان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم أن يبرز الثناء بما يتميز به أصحابه , ولو أراد بالقضاء الخلافة من بعده لما خشي أحدا ولأظهر ذلك في صريح العبارة.

وأما استدلالهم بحديث: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)) : فالجواب أن هذا الحديث ليس فيه نص على إمامة علي رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن هارون لم يكن هو خليفة موسى فقد مات قبله.

وسبب الحديث يوضح مراد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أراد أن يتوجه إلى تبوك ترك علياً في المدينة للنظر في أمور المسلمين، فقال بعض المنافقين في المدينة: إنما خلف علياً لأنه يستثقله ولا يحبه، فلما علم علي بذلك أخذ سيفه ولحق بالرسول وهو نازل بالجرف ، وأخبره بقول المنافقين. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى)) ، فبين له أن استخلافه على المدينة لم يكن لاستثقاله كما زعم أولئك، وإنما كان استخلافه كاستخلاف موسى لهارون حينما ذهب موسى لميقات ربه، ولم يستخلف موسى هارون بغضاً له أو استثقالاً، كما أن الحنان الذي كان بين موسى وهارون يوجد مثله بين الرسول صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه، وهذا بعيد عن الخلافة والولاية، وإنما هو من الرسول صلى الله عليه وسلم كهارون من موسى في الوصية له ووجوب احترامه ومعرفة فضله.

وأما استدلالهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يؤمر على أبي بكر وعمر غيرهما من الصحابة، ولم يؤمر على علي أحداً. فجوابه:

١- أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ولّى أبا بكر أموراً كثيرة لم يشركه فيها أحد، مثل ولاية الحج والصلاة بالناس، وغير ذلك.

٢- أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ولى من هو بإجماع أهل السنة والشيعة من كان عنده دون أبي بكر مثل عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وخالد بن الوليد، وهذا يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك ولاية أبي بكر في بعض الأمور لكونه ناقصاً عن هؤلاء.

وقد ولى الرسول صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم على المدينة كما ولى غيره في بعض أمره فلم ينفرد علي رضي الله عنه بالولاية.

ربما ترك الرسول صلى الله عليه وسلم ولايته في بعض الأمور لأن بقاءه عنده أنفع له منه في تلك الولاية، وحاجته إليه في المقام عنده وغناه عن المسلمين أعظم من حاجته إليه في الولاية.

وأما إرساله -صلى الله عليه وسلم- لعلي بسورة براءة فلم يكن ذلك لرد أبي بكر عن ولاية الحج، ولكن أردفه لينبذ إلى المشركين عهدهم، وقد كانت عادتهم ألا يعقد العقود ولا يحلها إلا المطاع المسؤول العام، أو رجل من أهل بيته فقط، وعلي له هذه القرابة.

وأيضاً كان علي يصلي خلف أبي بكر كسائر أهل الحج. ومن قال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل علياً لرد أبي بكر عن إمارة الحج فقد كذب باتفاق أهل العلم، فإن المهمة التي كلف بها عليّ إنما هي تنفيذ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في إخبار المشركين بنبذ العهد الذي بينهم وبين المسلمين كما أمر الله تعالى

<u>ثانياً: دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء</u>: يعتقد الرافضة في أئمتهم العصمة من كل الذنوب والخطايا، الصغائر والكبائر، وأنها لا تقع منهم لا خطأ ولا نسياناً منذ طفولتهم إلى نهاية حياتهم .

و سبب ذلك: هو أنهم اعتقدوا أن العصمة شرط من شروط الإمامة ، ثم رفعوا أئمتهم وغلوا فيهم غلواً فاحشاً إلى أن اعتبروهم أفضل من الأنبياء، لأنهم نواب أفضل الأنبياء، ثم زادوا فادعوا لهم أنهم يعلمون الغيب، وأن جزءاً إلهياً حل فيهم وإذا كان الأمر كذلك فالعصمة أمر طبيعي أن توجد فيهم.

إضافة إلى ذلك قالوا: إن تنصيب الإمام إنما شرع من أجل جواز الخطأ على غير الأئمة، فلو جاز الخطأ على الإمام وهو الهادي إلى الحق لاحتجنا إلى هاد آخر، وهذا الهادي يمكن أن يلحقه الخطأ فيحتاج إلى هاد آخر، وهكذا فيلزم التسلسل فقطعاً للتسلسل ينبغي أن يكون كل إمام من أولئك معصوماً في وقته – حسب زعمهم– حتى يؤمن على حفظ الشريعة.

كذلك من الأسباب أيضاً في استنادهم في القول بعصمتهم إلى ما يزعمونه من النصوص عن أئمتهم، فقد نقل الكليني – فيما يكذب الشيعة على آل البيت– أن جعفر الصادق قال: ((نحن خزان علم الله، ونحن تراجمة أمر الله، نحن قوم معصومون، أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا.. نحن حجة الله البالغة على من دون السماء وفوق الأرض))

إبطال ما ادعته الشيعة من عصمة أئمتهم:

١–أما اعتقادهم خوف وقوع الخطأ من الإمام لو لم يكن معصوماً، فإنه من المعلوم عند الناس أن المقصود من تنصيب الإمام هو تنفيذ الأحكام ودرء المفاسد، وحفظ الأمن والنظر في مصالح العامة وغير ذلك، وليس من شرط بقائه في الحكم أن يكون معصوماً.

٢– أن الشرع لم يطالب الإمام بإصابة عين الحق حتما في كل قضية، وإنما المطلوب منه أن يتحرى العدل بقدر الإمكان.

٣–أننا لو افترضنا صحة دعواهم وكذلك من أنه لا بد من إمام معصوم للناس، فإنه لا يكفي إمام واحد فإن البلدان متباعدة، ووجود إمام واحد في كل عصر لا يكفي للجميع، فوجب إذاً أن يكون في كل بلد إمام معصوم يباشر الحكم بنفسه وإلا هلك الناس، ولا يجوز له أن ينيب أحداً مكانه لجواز الخطأ عليه، وفي هذا من العنت ما لا خفاء فيه.

٤–أن ليس لديهم أي دليل من القرآن أو السنة النبوية أو الإجماع على عصمة الأئمة

٥–أن الأنبياء عليهم السلام وهم أفضل خلق الله ، ليس أحد منهم معصوما عن السهو والخطأ والنسيان ، بل عصمتهم عن كبائر الذنوب ، وفيما يبلغونه من وحي الله تعالى.

ثالثاً: تدينهم بالتقية: التقية في اللغة يراد بها الحذر. يقال توقَّيت الشيء أي حذرته.

والتقية في مفهوم الشيعة معناها أن يظهر الشخص خلاف ما يبطن، أي أن معناها النفاق والكذب والمراوغة والبراعة في خداع الناس، لا التقية التي أباحها الله للمضطر المكره ولبيان منزلة التقية عند الشيعة نورد الأمثلة التالية:

١– التقية أساس الدين، من لا يقول بها فلا دين له: في الكافي عن أبي جعفر : ((التقية من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له)) .

٢- أن التقية عز للدين، ونشره ذل له. كما روى الكليني عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله: ((يا سليمان، إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله))

٣-أن ترك التقية مثل ترك الصلاة تماماً. قال القمي: ((التقية واجبة، من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة)) ٤- أن التقية قائمة إلى أن يخروج القائم من آل محمد (المهدي المنتظر) ، قال القمي: ((التقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج على دين الله تعالى، وعن دين الإمامية، وخالف الله ورسوله والأئمة))

٥- حرفوا معاني الآيات إلى ما يوافق أهواء هم، وكذبوا على آل البيت، قال القمي: ((وقد سئل الصادق عليه والسلام عن قول الله عز وجل: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} قال: أعلمكم بالتقية)).

٦- أن ترك التقية من الذنوب التي لا يغفرها الله كالشرك، فرووا عن عليّ بن الحسين الإمام الرابع أنه قال: ((يغفر الله للمؤمن كل ذنب ويطهره منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين، ترك التقية، وترك حقوق الإخوان))

أسباب قول الشيعة بالتقية: اختلفت كلمة الشيعة في الأسباب الحاملة لهم على التمسك بالتقية واعتبارها أساساً في الدين، وفيما يلي نوجز أهم ما قيل فيها:

١- قالت طائفة: إن التقية تجب للحفاظ على النفس أو العرض أو المال أو الإخوان.

٢- وقالت طائفة: إن التقية تجب لأنها فضيلة، والفضائل يجب التحلي بها

٣- والحق أنهم أوجبوا التقية لظروف أحاطت بهم، ورأوا أن لا خلاص لهم إلا بالاتكاء على دعوى التقية.

ومن ذلك:

أ- أنهم وقفوا على أقوال متضاربة عن الأئمة المعصومين عندهم يختلفون في الشيء الواحد، وتتناقض فيه أقوالهم دون أن يجدوا مبرراً لذلك التناقض؛ فخرجوا من ذلك بدعوى أن ذلك الكلام صدر من الأئمة على سبيل التقية.

ب- ومنها ما وجدوه من كلام الأئمة في مدح الصحابة الذين تبرأ منهم الشيعة ويعتبرونهم كفاراً، فزعموا أن ذلك المدح إنما كان تقية.

الرد عليهم : الرافضة يحتجون لهذه العقيدة الفاسدة بقوله تعالى: {لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة} ولا حجة لهم في هذه الآية ولا غيرها من النصوص ، لأن التقية الواردة في الآية هي: كتم مالا يستطيع أن يظهره المسلم من دينه عند الكفار، دون إظهار دينهم وموافقتهم فيه، والرافضة يظهرون من عقائد مخالفيهم غير ما يعتقدون.

فالتقية رخصة من الله في حال الضرورة إن خاف المسلم على نفسه من الكفار، وعلى هذا أجمع أهل العلم قال ابن المنذر: "أجمعوا على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان أنه لا يحكم عليه بالكفر"

رابعًا: المهدي عند الرافضة: يزعم الرافضة أن المهدي في سرداب بسامراء، وأن فيه دابة ترابط دائماً على بابه ليركبها إذا خرج من سردابه، ويقف جماعة ينادون عليه بالخروج يا مولانا اخرج، يا مولانا اخرج، ويشهرون السلاح، وفي أثناء مرابطتهم لا يصلون خشية أن يخرج وهم في الصلاة فينشغلون بها عن خروجه وخدمته، بل يجمعون الخمسة الفروض، وليس هذا فقط عند السرداب، بل أحياناً يكونون في أماكن بعيدة عن مشهده ويفعلون هذا إما في العشر الأواخر من شهر رمضان، وإما في غير ذلك يتوجهون إلى المشرق وينادونه بأصوات عالية، يطلبون خروجه مع أنه لا مهدي هناك.

وإنما هي خرافة نفذ منها ومن غيرها أعداء الإسلام إلى الطعن في الإسلام وتجهيل حامليه، وإلا فما الداعي لمثل رفع هذه الأصوات وهذه المرابطة المضنية؟

والرافضة اضطرب كلامهم حول مهديهم وتناقضت فيه أقوالهم، والصحيح عند أكثر العلماء- أنه شخصية خيالية لا وجود له إلا في أذهان الرافضة الذين يزعمون إمامته وينتظرون خروجه بعد غيبته الكبرى ، ومن تلك التناقضات التي وقع فيها الرافضة :

١- اختلاف الشيعة في وجود محمد بن الحسن وولادته. فقد اختلفت كلمتهم في وجود هذا الشخص، فبعضهم ذهب إلى أن الحسن العسكري مات ولم يعرف له ولد أصلاً، وقال هؤلاء بأن الحسن العسكري حين توفي ظن بعضهم أن بجاريته حملاً فوكلوا بها من يراقبها حتى تبين أن لا حمل بها.

واستدلوا أيضاً بأن الحسن العسكري حينما مات أخذ أخوه جعفر تركته، ولو كان للحسن ولد لما حصل على ذلك.

٢- وذهب آخرون إلى إثبات ولادة محمد بن الحسن، بل وحددها محمد صادق آل بحر العلوم المعلق على فرق الشيعة للنوبختي بأنها كانت يوم الجمعة منتصف شعبان على أشهر الأقوال كما زعم سنة ٢٥٥هـ، بينما الكليني في الكافي يذكر أنه ولد سنة ٢٥٦هـ ، بينما هو يقرر أنه خفي الولادة والمنشأ.

وهؤلاء الذين أثبتوا ولادته تناقضت أقوالهم واضطربت أفكارهم فيه أيضاً، فبعضهم قال بأنه ولد بعد وفاة والده الحسن بثمانية أشهر، وكذَّبوا من زعم غير هذا كما نص عليه النوبختي.

وقال آخرون: إنه ولد قبل وفاة والده بسنين، وقال بعضهم: بخمس سنوات.

كما اختلفوا كذلك في تحديد السنة التي اختفى فيها، فبعضهم يجعلها سنة ٢٥٦هـ، وآخرون ٢٥٨هـ، وغيرهم ٢٥٥هـ.

كما اختلفوا في اسم أمه على أقوال: فقيل: اسمها نرجس، وقيل: صقيل أو صيقل، وقيل: اسمها حكيمة.

وقيل اسمها سوسن .

وأقاويل أخرى كثيرة مضطربة يطول نقلها، وهذا الاختلاف كله دليل على أن هذا الإمام لم يولد وإنما هو استحساناتهم وتخميناتهم.

وكذلك اختلف الرافضة في المكان الذي اختفى فيه مهديهم محمد بن الحسن العسكري على أقوال متضاربة توحي لأهل كل مكان ذكروه بقرب المهدي منهم. ومن تلك الأقوال، وهي كثيرة: أنه مختف في سامراء، في سرداب دار أبيه، وهذا من أشهر أقوال الشيعة والمتداول بينهم، وفي كتبهم ، أنه مختف في المدينة المنورة، أنه مختف بمكة المكرمة، وبعضهم قال: هو بذات طوى، وبعضهم قال: إنه في اليمن بواد يسمى شمروخ ، وبعضهم قال: إنه بالطائف، وكل هذه الخلافات دليل على بطلان عقيدتهم في المهدي

خامسًا: عقيدتهم في الرجعة: يعتقد الرافضة رجعة بعض الأموات بعد موتهم إلى الحياة الدنيا، وذلك في زمن خروج المهدي -المزعوم عندهم- يقول المرتضى: «اعلم أن الذي قد ذهب الشيعة الإمامية إليه أن الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي صلوات الله عليه قوماً ممن كان تقدم موته من شيعته، ليفوز بثواب نصرته ومعونته، ومشاهدة دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم، فيلتذون بما يشاهدون من ظهور الحق، وعلو كلمة أهله» .

والرجعة عند الرافضة إنما هي لأئمتهم، ومن محّض الإيمان من أوليائهم، ومن محّض الكفر من أعدائهم -وهم يعنون بذلك الصحابة - رضي الله عنهم - والقصد من ذلك هو إظهار العز والنصر للأئمة ومواليهم، والانتقام من أعدائهم

الرد عليهم :

١- أن فكرة الرجعة إلى الدنيا بعد الموت مخالفة لنص القرآن، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه، قال تعالى: {قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} ،.

فقوله سبحانه: {وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} صريح في نفي الرجعة مطلقًا

٢- أن الحسن بن علي رضي الله عنه أبطل هذه العقيدة ، فقد روى الإمام أحمد في مسنده أن عاصم بن ضمرة (وكان من أصحاب علي رضي الله عنه) قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن عليًا يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون، لو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ميراثه.

سادسًا:موقفهم من القرآن :أجمع المسلمون على سلامة القرآن الكريم من التحريف أو التغيير ، أو الزيادة أو النقصان ، وكفروا من زعم خلاف ذلك ، وذلك لأن الله تكفل بحفظه كما قال تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}

وقال عبد القاهر البغدادي : (واتفقوا على أن أصول أحكام الشريعة القرآن والسنة وإجماع السلف ، وأكفروا من زعم من الرافضة أن لا حجة اليوم في القرآن والسنة ، لدعواه فيها أن الصحابة غيروا بعض القرآن ، وحرفوا بعضه)

ولم يتجرأ أحد على القول بزيادة القرآن أو نقصانه إلا الرافضة ، حيث زعموا أن القرآن الكريم الموجود اليوم بين دفتي المصحف: محرّف ومبدّل. وأن هذا المصحف لايمثل إلا جزءاً يسيراً من القرآن المنزل على النبي – صلى الله عليه وسلم –، وأن الذي حرّف القرآن هم الصحابة وذلك بحذف فضائحهم الواردة في القرآن وفضائل علي – رضي الله عنه – وآل البيت التي جاءت منصوصاً عليها في القرآن الكريم.

جاء في كتاب بصائر الدرجات للصفّار بسنده عن أبي جعفر أنه قال: «ما يستطيع أحد أن يدعى أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء» ،وعنه أيضاً: «ما من أحد من الناس يقول إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب، وما جمعه وما حفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده» وفي تفسير العياشي عن أبي عبد الله: «لو قُرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين» .

وجاء في الكافي بيان مقدار ما أُسقط من القرآن –بزعمهم– فعن أبي عبد الله: «إن القرآن الذي جاء به جبريل – عليه السلام — إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – سبعة عشر ألف آية» .

وهذا يعنى أن ثلثي القرآن قد أُسقطا، حيث إن عدد آيات القرآن الموجود الآن لا يتجاوز (٦٢٣٦) آية.

سابعًا: عقدتهم في الصحابة: يقف الرافضة من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – موقف العداوة والبغضاء، والحقد والضغينة، يبرز ذلك من خلال مطاعنهم الكبيرة على الصحابة، التي تزخر بها كتبهم القديمة والحديثة،فمن ذلك كفرهم وردتهم إلا نفراً يسيراً منهم، على ماجاء مصرحاً به في بعض الروايات الواردة في أصح كتبهم، وأوثقها عندهم ،فقد روى الكليني عن أبي جعفر أنه قال: «كان الناس أهل ردة بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا ثلاثة. فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم، »

الرد عليهم :

١– أن الله أثنى عليهم ونص على عدالتهم والرضا عنهم في آيات كثيرة جلية واضحة، فمن ذلك قوله : {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} وقوله: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} . وكان عددهم أكثر من ألف وأربعمائة، بايعوه لما صده المشركون عن العمرة

٢ –وأما الأدلة من السنة على عدالتهم فكثيرة جدا ،فمن ذلك : قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبّوا أصحابي، لا تسبّوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه" متفق عليه .

وقوله عليه الصلاة والسلام: "خير النّاس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم،» ، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة" رواه مسلم

ثامنًا: قولهم بالبداء على الله: البداء: معناه الظهور بعد الخفاء، كما في قوله تعالى: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} أي ظهر.

ومعناه أيضاً: حدوث رأي جديد لم يكن من قبل، كما في قوله تعالى: {ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} .

والبداء بمعنييه المتقدمين غير جائز على الله تعالى؛ لأنه يستلزم الجهل بالعواقب، وحدوث العلم. والله تعالى منزه عن ذلك.

والرافضة يجيزون إطلاق البداء على الله تعالى، بل لهم في ذلك مبالغات عظيمة تفوق حد الوصف، حتى أصبحت هذه العقيدة الفاسدة من أقوى العقائد عندهم جاء في الكافي الذي يعد من أصح الأصول عندهم تحت باب "البداء" من كتاب التوحيد عن زرارة بن أعين عن بعض الأئمة: «ما عُبِدَاللهُ بشئ مثل البَدَاء» . وفيه عن أبي عبد الله: «ما عُظِّمَ اللهُ بمثل البَدَاء» . وعنه أيضاً: «لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه» .

وأما سبب قولهم بالبداء فهو أن الاثني عشرية أشاعوا بين أتباعهم أن أئمتهم يعلمون الغيب، ولا يخفى عليهم الشيء؛ فيدعون أن الأئمة يقولون سيحدث كذا وكذا؛ فإن وقع الشيء على وَفْق ما قالوه _ قالوا: ألم نعلمكم أن هذا يكون؛ فنحن نعلم من قِبل الله _ عز وجل _ ما عَلِمته الأنبياء، وبيننا وبين الله _عز وجل_ مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت. وإن وقع الشيء على خلاف ما قالوه _ قالوا لشيعتهم: بدا لله في ذلك فلم يُكَوِّنْه.

الرد عليهم : أن إطلاق البداء على الله عز وجل ، من أعظم الكفر ، وهو يناقض ما أخبر الله به عن نفسه بأنه عالم بكل شيء ، وأن علمه لم يسبقه جهل ، ولا يلحقه نسيان ، : (قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى)، وقال تعالى : {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}

مصادر الرافضة: عمدة الرافضة أربعة كتب عليها مدار العمل عندهم في جميع الأعصار وهي:

الأول: الكافي في الأصول والفروع . لمحمد بن يعقوب الكليني(المتوفى سنة: ٣٢٩ أو ٣٢٨)

الثاني: من لا يحضره الفقيه . لشيخهم المشهور عندهم بالصدوق محمد بن بابويه القمي (المتوفى سنة ٣٨١هـ) .

الثالث: تهذيب الأحكام. لشيخهم المعروف بـ"شيخ الطائفة" أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٣٦٠هـ)

الرابع: الاستبصار فيما اختلف من الأخبار. للطوسي السابق ذكره، وهو مجرد اختصار لكتاب التهذيب السالف الذكر ومع ذلك جعلوه أحد أصولهم.

هذه هي أصولهم الأربعة المعتمدة حتى اليوم باتفاقهم .

قال شيخهم الفيض الكاشاني (المتوفى سنة ١٠٩١هـ) : "إن مدار الأحكام الشرعية اليوم على هذه الأصول الأربعة، وهي المشهود عليها بالصحة من مؤلفيها"

وقد ألحقوا بها أربعة كتب متأخرة هي :

الأول: الوافي . لشيخهم محمد بن مرتضى المعروف بملا محسن الفيض الكاشاني (المتوفى سنة ١٠٩١هـ) ، وقد جمع في هذا الكتاب ما في الكتب الأربعة المتقدمة ، ويقع في ثلاثة مجلدات كبار ، وطبع في إيران

الثاني: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار . لشيخهم محمد باقر المجلسي (المتوفى سنة ١١١٠ أو ١١١١هـ)، وقد جمع هذا الكتاب من الكفر فأوفى ، وطبع في ٢٥ مجلدا ثم طبع أخيرا في ١١٠ مجلدا .

الثالث: وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة. تأليف شيخهم محمد بن الحسن الحر العاملي (المتوفى سنة ١١٠٤هـ)، وهو مؤلف كتاب فصل الخطاب في تحريف كتاب الأرباب .

الرابع: مستدرك الوسائل . لحسين النوري الطبرسي (المتوفى سنة ١٣٢٠هـ)

وهناك كتب كثيرة عندهم قالوا: إنها في الاعتبار والاحتجاج كالكتب الأربعة، كما ذكر ذلك المجلسي في مقدمة بحاره . والحر العاملي في الوسائل ، وكما نجد ذلك في مقدمات تلك الكتب. ويبدو أن تخصيص ما سلف بالذكر، إما لأنها مجاميع كبيرة، أو قد يكون لمجرد محاكاة أهل السنة وللدعاية المذهبية، ومما يوضح ذلك أنهم اعتبروا مثلاً من المجاميع الثمانية المتقدمة كتاب الوافي، وعدوه أصلاً مستقلاً، مع أنه عبارة عن جمع لأحاديث الكتب الأربعة المتقدمة (الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه) فكيف يعد أصلاً خامساً، ومستقلاً، وهو تكرار لأحاديث الكتب الأربعة؟!

وكذلك اعتبروا "الاستبصار" للطوسي مصدراً مستقلاً من المصادر الأربعة المتقدمة، وهو لا يعدو أن يكون اختصاراً لكتاب تهذيب الأحكام لطوسي، كما صرح بذلك الطوسي في مقدمة الاستبصار ، وكما يبدو واضحاً لمن شاء المقارنة بين

الكتابين، فالدعاية المذهبية واضحة في صنيعهم هذا

والملاحظ أن روايات الشيعة في كتبها كلها منسوبة إلى الأئمة الاثني عشر، ومعظمها مروي عن جعفر الصادق، وقليل منها (بل نادرٌ ولا يكاد يوجد إلا بكلفة) مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل أشار شيخهم الحر العاملي إلى أنهم يتجنبون رواية ما يرفع إلى النبي خشية أن يكون من روايات أهل السنة إذن هذه الطائفة "لا تعتني بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة صحيحه من سقيمه والبحث عن معانيه، ولا تعتني بآثار الصحابة والتابعين حتى تعرف مآخذهم ومسالكهم وترد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول" .

بل عمدتها ما تزعم روايته عن بعض أهل البيت وليس كل أهل البيت، وليس ما ينقلونه هي أقوال أئمة أهل البيت ، بل هي مفتريات زنادقة القرون البائدة على أهل البيت، ويكفي في الحكم على أحاديثهم؛ النظر في متونها "وكل متن يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع ".

وقد جمعت هذه المتون من مظاهر الشرك بالله عز وجل والقول بتحريف القرآن ، والانحراف في تأويله ، ودعوى تنزل كتب إلهية على أئمتهم ، وتكفير الصحابة ما يقطع معه بأنها من وضع زنديق حاقد على الإسلام وأهله .

فرق الرافضة الإمامية :

لقد تفرقت الرافضة الإمامية إلى أقسام كثيرة لم يتفق العلماء على عددها، ولا على اعتبار من هم الأصول ومن هم الفروع منهم. ولا حاجة إلى التطويل بذكر جميع تلك الفرق الأصول والفروع؛ إذ الكل يجمعهم معتقد واحد حول الإمامة وأحقية علي بها، وأولاده من بعده، ورفض من عداهم، ويختلفون في بعض مسائل الاعتقاد كالمهدي والرجعة وغيرها

وأشهر فرقهم: المحمدية، والاثنا عشرية ، وهذا بعض التفصيل حولها :

١ – المحمدية: يعتقدون أن الإمام والمهدي المنتظر هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي، ويعرف بالنفس الزكية.

ولد محمد سنة ٩٣هـ ، ويوصف بأنه كان فاضلاً صاحب عبادة وورع، ولذا أطلق عليه لقب النفس الزكية، خرج بالمدينة المنورة سنة ١٤٥هـ على أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، وكان المغيرة بن سعيد العجلي يدعو الناس إلى البيعة لمحمد، وجدَّ في ذلك، وزعم للناس أن المهدي المنتظر قد خرج، وأنه محمد بن عبد الله بن الحسن ، وبشر الناس بأن ملكه سيمتد طويلاً ويعيد الأمور إلى نصابها ويملأ الأرض عدلاً، فأرسل إليه المنصور جيشا بقيادة عيسى بن موسى الهاشمي، فقتل محمد بن عبد الله بن الحسن في تلك المعركة، ولما قتل انقسم أتباعه إلى طائفتين: طائفة تبرأت من المغيرة وقالوا: لا يجوز لنا

متابعته بعد أن ظهر كذبه، فإن محمد بن عبد الله ابن الحسن مات مقتولاً ولم يملك ولا يملأ الأرض عدلاً، ولو كان هو المهدي لتكفل الله بظهوره.

والطائفة الأخرى استمرت على الولاء للمغيرة ولمحمد بن عبد الله بن الحسن، وقالت: إن محمداً لم يقتل، وإنما المقتول كان شيطاناً تصور للناس في صورة محمد بن عبد الله بن الحسن، وأن محمداً لا يزال حياً في جبل حاجر بنجد، ولا بد أن يظهر مرة أخرى، ويملأ الأرض عدلاً، وأن البيعة ستعقد له بين الركن والمقام في بيت الله الحرام بمكة.

٢- الاثنا عشرية: تعتبر هذه الطائفة أشهر فرق الشيعة، وأكثرها انتشاراً في العالم، وإليها ينتمي أكثر الشيعة في إيران والعراق وباكستان وغيرها من البلدان التي وصلت إليها العقيدة الشيعية.

أ- أسماؤهم وسبب تلك التسميات:

١- الاثنا عشرية: لاعتقادهم وقولهم بإمامة اثني عشر رجلاً من آل البيت، ثبتت إمامتهم -حسب زعمهم- بنص من النبي صلى الله عليه وسلم، وكل واحد منهم يوصي بها لمن يليه.

وأولهم: علي -رضي الله عنه- وآخرهم محمد بن الحسن العسكري المزعوم الذي اختفى في حدود سنة ٢٦٠هـ، وسيعود بزعمهم ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً

٢-الجعفرية: نسبة إلى جعفر بن محمد الصادق الذي بنوا مذهبهم في الفروع على أقواله وآرائه -كما يزعمون- وهو بريء من أكاذيب الشيعة هذه، فإنهم يسندون إليه أقوالاً واعتقادات لا يقول بها من له أدنى بصيرة في الإسلام

٣-الرافضة: وقد سبق ذكر سبب تسميتهم به .

٤-الإمامية: سموا بذلك نسبة إلى الإمامة لأنها آكد أصولهم، أو لزعمهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي وأولاده، أو لانتظارهم إمام آخر الزمان الغائب المنتظر -كما يزعمون-.

ب-أهم الأماكن التي انتشر فيها هذا المذهب:

١- إيران: وهو المذهب الرسمي للدولة، وقد أعلن الخميني في دستورهم أن دين الدولة يقوم على المذهب الجعفري.

٢- العراق.

٣- الهند.

٤- باكستان.

وفي هذه البلدان أعداد منهم، ولهم تواجد في بعض المناطق في سوريا ولبنان ودول الخليج، وكثير من البلدان الإسلامية مستغلين غفلة أهل السنة.

ح- فرق الاثني عشرية وانقسامها: انقسمت الشيعة الاثنا عشرية إلى فرق كثيرة ، من أهمها وأشدها خطراً وأكثرها نفوذاً وشوكة وتأثيراً في المجتمع الشيعي، ومن أشدها نشاطاً في دعوى ظهور المهدي: الشيخية والرشتية

١- الشيخية: وقد يقال لهم الأحمدية ، وهي طائفة تنتسب إلى رجل يقال له الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي البحراني، المولود سنة ١١٦٦هـ، والمتوفى سنة ١٢٤٣هـ، وهو شيخ ضال ملحد، له كثير من الآراء الكفرية ،عاش في مدن الشيعة الهامة، مثل كربلاء وطوس وغيرهما من البلدان، ونشر أفكاره ومعتقداته الضالة، وكون له أتباعاً كان لهم أثر في قيام حركات أخرى كالبابية والبهائية.

أهم معتقداته:

أ- زعم أن الله -تعالى عن قوله- تجلى في علي وفي أولاده الأحد عشر، وأنهم مظاهر الله وأصحاب الصفات الإلهية ، وهي عقيدة حلولية مستمدة من عقائد البراهمة وغلاة الصوفية.

ب- أرجع وجود هذا الكون وما فيه إلى وجود الأئمة، وأنهم هم العلة المؤثرة في وجوده إذ لولاهم ما خلق الله شيئاً.

ج- زعم في محمد بن الحسن العسكري المهدي المزعوم عند الشيعة مزاعم غريبة، منها أن المهدي المذكور يتجلى ويظهر في كل مكان في صورة رجل يكون هو المؤمن الكامل، أو الباب إلى المهدي، وتحل فيه روح المهدي، ثم ادعى لنفسه وجود هذه الصفة فيه، وضلل كثيراً ممن سار على شاكلته إلى أن هلك.

٢- الرشتية: بعد هلاك الشيخ أحمد الإحسائي قام بأمر الشيخية أحد تلامذته ، ويسمى كاظم الحسنى الرشتي سنة ١٢٤٢هـ.. ونهج نفس المنهج والطريق التي عليها سلفه في كثير من المسائل، وخالفه في أخرى، حيث ادعى أن المهدي روح الأبواب حل فيه ، ولكنه زعم أنه آخر إنسان يحل فيه حتى يظهر المهدي ومن هنا بدأ يلتمس ظهور المهدي، وهو في الحقيقة إنما بحث عن صيد فوجده، حيث وقع اختياره على شخصية من تلاميذه ليجعل منه المهدي المنتظر بعد أن لمس أن هذه الدعوى يمكن أن تجد لها أتباعاً.

وقد نشر الرشتي مذهبه الفاسد حتى صارت له أماكن كثيرة وأتباع كثيرون من شيعة إيران وعربستان وأذربيجان والكويت، وانتشرت أفكاره أيضاً في الهند وباكستان، وافتتحت فيهما مراكز كثيرة، وتأتيهم المساعدات من تلك الأماكن التي وصل انتشار الشيخية إليها.

وهناك فرقة أخرى هي محل نظر في إلحاقها بالشيعة الاثني عشرية أو الصوفية، وتسمى النور بخشية نسبة إلى رجل يسمى محمد نور بخش القوهستاني المولود سنة ٧٩٥ هـ

علاقة الرافضة بالفرق الباطنية الأخرى : الرافضة لهم موقفان من فرق الباطنية من خلالهما تتبين العلاقة:

الموقف الأول : التصريح بتكفير الباطنية عموما ولعنها وسبها: قال المجلسي : (أقوال الباطنية والملاحدة التي اتخذوا دين الله هزوا ولعبا، رفضوا أحكام الله , وتعدوا حدودها , فضلوا وأضلوا كثيرا من الناس. وكانوا من بدء ظهور الإسلام قوما يحرفون الكلم عن مواضعه ؛ يتبعون ما تشابه من كلام الله وكلام رسوله والأئمة عليهم السلام , حبا للرئاسة , وتفريق كلمة المسلمين , أعاذنا الله من الزيغ والضلالة، وكان طائفة منهم ؛يسمون الخطابية, يدينون بأمثال هذه الضلالات ,يخرجون الناس عن الطريق السوي)

وقال البياضي في حق الشيعة الإسماعيلية: (إنهم خارجون عن الملة الحنيفية بالاعتقادات الرديئة، وذلك أنهم قالوا: كل ظاهر فله باطن، وأن الله بتوسط كلمة كن أوجد عالمي الخلق والأمر، فجعلوه محتاجاً في فعله إلى الواسطة والآلة)

وقال محمد الحسيني الشيرازي : (وأما سائر أقسام الشيعة غير الاثني عشرية، فقد دلت نصوص كثيرة على كفرهم، ككثير من الأخبار ، الدالة على أن من جحد إماماً كان كمن قال: إن الله ثالث ثلاثة)

الموقف الثاني: التقارب المعاصر بين المذهب الاثني عشرية والمذهب الباطني: تجاهل الفكر الاثنا عشري المعاصر الموقف الذي كان يكتنف المتقدمين تجاه المذهب الباطني, فحين انتهج المتقدمون الإقصاء والتبرؤ والتكفير للمذهب الباطني ؛ يرى الناظر أن المذهب المعاصر امتزج بالفكر الباطني واختلط بعظمه ودمه , فاحتوى كثيرا من آراء الفكر الباطني , فتغيرت تلك المواقف , بل وانقلبت رأسا على عقب, فغدت المخالفة موافقة , والسخط والإنكار رضا وقبولا ,والتكفير والتبديع إلى أخوة ومحبة , فتجذرت الصلة بعد أن كانت النفرة والتكفير السائد .

والملاحظ في العصر الحاضر , ومن عنده أدنى اطلاع يجد أن المذهب الاثني عشري له صلة وثيقة بمذاهب الباطنية بجميع أطيافها , ولعل من أسباب تلك الصلة عدة أمور منها:

***الصلة في مصادر التلقي:** الرافضة المعاصرون قد اعتمدوا في التلقي على جملة من كتب الباطنية بل المتأمل في كتبهم الأربعة التي قال فيها عبد الحسين الموسوي : (وهي: الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه، وهي متواترة، ومضامينها مقطوع بصحتها، والكافي أقدمها وأحسنها وأتقنها) .

يجد أن أنها قد ضمنت في طياتها كثيرا من النصوص التي حاكت في كثير من ألفاظها ومعانيها ما جاء في كتب الباطنية ؛ من الإسماعيلية والنصيرية وغيرها .

وبعض المصادر الإسماعيلية والنصيرية قد أصبحت عمدة عند المعاصرين من الاثني عشرية ,؛مثل كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان بن محمد بن منصور، المتوفى سنة (٣٦٣هـ) وهو إسماعيلي -كما تؤكد ذلك بعض مصادر الاثني عشرية نفسها- ومثل كتاب الهداية الكبرى للخصيبي وهو نصيري كما هو معلوم بتصريحهم أنفسهم .

*__ومن مواطن الصلة اتفاق الطائفتين على التلقي عن المعصومين من آل البيت بزعمهم__ ؛ إذ اعتقاد عصمة الأئمة من آل البيت من أبرز معالم الطائفتين .

*__ومن مواطن الصلة بين الاثني عشرية وفرق الباطنية وهو فرع عن الذي قبله الوفاق الكبير في كثير من الروايات المنسوبة إلى الأئمة__ , ومن يطالع بعض الكتب الإسماعيلية والنصيرية يرى وفاقاً في جملة من الروايات بينهم , ومن الأمثلة لذلك حديثهم (من لم يؤمن برجعتنا فليس منا)

*__ومنها أن شيوخ الشيعة المعاصرين وآياتها إذا تحدثوا عن طائفتهم ورجالها ودولها نسبوا لها كل الفرق والدول والرجال المنتمين للتشيع، وإن كانوا من الإسماعيلية والباطنية، أو من الزنادقة الدهرية، أو من المجسمة الغلاة.__ فهم إذا تحدثوا — مثلاً – عن دول الشيعة ذكروا الدولة الفاطمية في صدر دولهم مع أنها غير اثني عشرية

*__ومنها تصريح بعض مفكري الشيعة في العصر الحاضر بأن الفكر الاثني عشري قد استوعب آراء وعقائد فرق الشيعة القديمة،__ حيث قال: (ولكن يجب أن نشير قبل أن نضع القلم بأن ما مر بنا من أفكار الشيعة , مما كان خاصاً بفرقة بعينها لم يلبث أن دخل كله في التشيع الاثني عشري , ودعم بالحجج العقلية وبالنصوص. والتشيع الحالي إنما هو زبدة الحركات الشيعية كلها من عمار إلى حجر بن عدي إلى المختار وكيسان إلى محمد بن الحنفية وأبي هاشم إلى بيان ابن سمعان، والغلاة الكوفيين إلى الغلاة من أنصار عبد الله بن الحارث إلى الزيديين والإسماعيليين، ثم الإمامية التي صارت اثنا عشرية، وقام بعملية المزج متكلمو الشيعة ومصنوفها)

*__ومن مواطن الصلة والتقارب أن الاتجاه الباطني واضح في كتب الاثني عشرية من خلال تأويلهم لآيات القرآن , وأركان الإسلام , وما قالوه في التقية والكتمان.__ فأصبحت الاثنا عشرية هي المصب الأخير لكل الروافد الشيعية بكل ما فيها من شطحات، ويجد كل صاحب غلو وتطرف بغيته , وما يؤيد مذهبه في كتب هذه الطائفة.

__مشابهة الرافضة لليهود والمجوس:__ مذهب الرافضة له مشابهة تامة ومناسبة عامة مع اليهود والمجوس.

أما مشابهتهم لليهود: فسبب أن عقائد الرافضة بنيت على الأصول التي وضعها لهم عبد الله بن سبأ ، قال الكشي وهو أحد كبار علماء الرافضة : "ذكر أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغلو، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي – رضي الله عنه – مثل ذلك، وكان أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وأكفرهم، فمن ها هنا قال من خالف الشيعة: أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية"

والأمور التي شابه بها الرافضة اليهود عديدة فمن ذلك :أن اليهود قالوا لا تصلح الإمامة إلا لرجل من آل داود عليه السلام، وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا لرجل من ولد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –. وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال وينزل بسيف من السماء، وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينادي مناد من السماء. واليهود تؤخر صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم، وكذلك الرافضة يؤخرونها. واليهود تنود في الصلاة، وكذلك الرافضة. واليهود لا ترى على النساء عدة، وكذلك الرافضة. واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن. واليهود يبغضون جبريل – عليه السلام – ويقولون هو عدونا من الملائكة، وكذلك صنف من الرافضة يقولون: غلط جبريل – عليه السلام – بالوحي إلى محمد – صلى الله عليه وسلم –، وإنما بعث علي ، واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين إنما يقولون: السام عليكم، والسام الموت، وكذلك الرافضة . ، واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة. واليهود يستحلون أموال الناس كلهم، وكذلك الرافضة.

وأما مشابهة الرافضة للمجوس فمن خلال ما يلي :

الأول : اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى التقديس، ويرون ملوكهم أحفاداً منحدرين من أصلاب الآلهة، وأن الدم الذي يجري في عروقهم دم مقدس، فنقلوا هذا الاعتقاد الوثني إلى علي رضي الله عنه وذريته، كما أنهم يدينون بالملك والوراثة في البيت المالك، وأن الملك خاص بسلالة الملوك الساسانيين، فلا يعرفون معنى الانتخاب للخليفة، وكثير منهم دخلوا في الإسلام ولم يتجردوا من كل عقائدهم السابقة التي توارثوها أجيالاً، فصبغوا آراءهم القديمة بصبغة إسلامية، فاعتقدوا في علي رضي الله عنه وأبنائه اعتقادهم في آبائهم الأولين من الملوك الساسانيين، وقالوا: قد انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، ولم يترك ولداً، فأولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فمن أخذ الخلافة كأبي بكر وعمر وعثمان، فقد اغتصب الخلافة من مستحقها

الثاني: حينما فتح المسلمون بلاد الفرس تزوج الحسين بن علي رضي الله عنه ابنة يزدجرد أحد ملوك إيران، بعدما جاءت مع الأسرى فولدت له علي بن الحسين، وقد رأى الفرس في أولادها من الحسين وارثين لملوكهم الأقدمين، ورأوا أن الدم

الذي يجري في عرق علي بن الحسين وفي أولاده دم فارسي من قبل أمه ابنة يزدجرد والذي من هو من سلالة الملوك الساسانيين المقدسين عندهم ، أضف إلى ذلك أن اسم فاطمة – فيما يقال – اسم مقدس عند الفرس، لأن لها مقاماً محموداً في تاريخ الفرس القديم

الثالث: ومما يثبت الأثر الفارسي شيوع الروايات والأخبار التي تقدس كل ما هو فارسي في مصادر الإثنى عشرية، ومن ذلك روايات عديدة عند الإثنى عشرية تفرد سلمان الفارسي – رضي الله عنه وبرأه الله مما يفترون – بخصائص وصفات فوق مرتبة البشر، حيث جاء في أخبارهم: «أن سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً»

الرابع: مما يؤكد الأثر الفارسي تعظيمهم وتقديسهم لبعض العناصر الفارسية التي شاركت في التآمر والكيد ضد دولة الخلافة الراشدة، وهو أبو لؤلؤة الفارسي المجوسي قاتل الخليفة العظيم عمر بن الخطاب، فقد أطلق عليه عندهم «بابا شجاع الدين»، وصنعوا له قبة في إيران تقدس وتعظم ويطاف بها، واعتبروا يوم مقتل عمر – رضي الله عنه – بيد هذا المجوسي عيداً من أعيادهم، وقد ساق شيخهم الجزائري روايات لهم في ذلك

الخامس: تقديسهم لمناسبات الفرس وأعيادها، فهم يعظمون يوم النيروز، كفعل المجوس ، وقد اعترفت أخبارهم بأن يوم النيروز من أعياد الفرس ، ويخصونه بجملة من الشعائر والعبادات، حتى قد عقد شيخهم العاملي باباً بعنوان: «باب استحباب صوم يوم النيروز والغسل فيه، ولبس أنظف الثياب والطيب»

دعوة التقريب بين الرافضة وأهل السنة وبيان خطورتها .

التقريب بين الرافضة وأهل السنة غير ممكن لأنهما مذهبان متناقضان وطائفتان مختلفتان ومذهبهما ضدان لا يجتمعان، يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (التقريب بين الرافضة وبين أهل السنة غير ممكن؛ لأن العقيدة مختلفة، فعقيدة أهل السنة والجماعة توحيد الله وإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى، وأنه لا يدعى معه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم الغيب، ومن عقيدة أهل السنة محبة الصحابة –رضي الله عنهم– جميعاً والترضي عنهم والإيمان بأنهم أفضل خلق الله بعد الأنبياء وأن أفضلهم أبو بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي –رضي الله عن الجميع –، والرافضة خلاف ذلك فلا يمكن الجمع بينهما، كما أنه لا يمكن الجمع بين اليهود والنصارى والوثنيين وأهل السنة، فكذلك لا يمكن التقريب بين الرافضة وبين أهل السنة لاختلاف العقيدة التي أوضحناها).

والرافضة هم أول من دعا إلى التقريب بين الرافضة وأهل السنة وهدفهم من ذلك:

١– إعطاء ما هم عليه من الكفر والضلال والإلحاد صفة الشرعية، واسم الإسلام.

٢– أن يسكت أهل السنة عنهم حتى يتمكنوا من نشر الرفض بكل وسيلة تحت شعار التقريب.

٣- نشر كتبهم ورسائلهم في بلاد السنة ، وإقامة الندوات والمراكز الخاصة بهم .

وقد سببت دعوة التقريب خسارة كبرى لأهل السنّة، وضرراً كبيراً لا يتصوره إلا من وقف على عدد القبائل التي ترفّضت بجملتها، فضلاً عن الأفراد، حتى تحولت العراق – مثلاً – بسبب هذه الدعوة من أكثرية سنّية إلى أكثرية شيعية، وشيوخ الروافض يخططون لنشر الرفض بكل وسيلة تحت شعار التقريب، وبعد العراق بدأوا في مصر وغيرها من بلاد العالم الإسلامي، واشتروا الأقلام وغروا ضعاف النفوس والإيمان وخدعوا أصحاب الغفلة والجهل، وجعلوا منهم أبواق دعاية للرفض والروافض.

وبسبب دعوة التقريب سكت أهل السنة ـ أو جلهم ـ عن بيان باطل الروافض وإيضاح الحق.

وباسم هذه الدعوة وجدت كتب الرافضة ونشراتهم ورسائلهم مكاناً لها في بلاد السنّة.

وأصبح رجال الرفض يتحركون وسط بلاد السنّة بيسر وسهولة وينشرون كتبهم ويقيمون ندواتهم ويفتحون مراكز لهم مما أدى إلى اضرار كبيرة ومفاسد عظيمة على أهل السنة والجماعة.

خطورة المد الشيعي على العالم الإسلامي وأساليبهم في ذلك ، وسبل المواجهة:

استبانة سبيل المجرمين ، وفضح خططهم ، منهج قرآني : (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين) ، ومن الاستبانة التي ذكرها ربنا جل وعلا فضح وكشف خطر المد الشيعي في البلاد الإسلامية لأنه المذهب الشيعي الرافضي نشر دينه في كل الدول الإسلامية وغير الإسلامية عن طريق التعليم والجمعيات بل وصل الأمر في نشر الدين الرافضي عن طريق التهديد والترويع للبلاد التي يتمكن فيها .

إن عداء الرافضة لأهل السنة على مر التاريخ لا ينسى بل هو من صلب ديانتهم الحقد والبغض لأهل السنة والجماعة خاصة وللإسلام عامة، لأنه دين المجوس.

والسكوت عن هذا الأمر ، وهو بيان خطر التمدد الشيعي ، خيانة الله ولرسوله وللمسلمين.

لقد بدأت الفكرة الخبيثة في نشر الدين الرافضي على يد الهالك الخميني الذي أعلن تصدير ما يسمى بالثورة الإسلامية في الدول الإسلامية خاصة وفي غيرها عامة، فاستخدموا فكرة نشر الدين الرافضي بالسلاح وباللسان وكان العون لهم على هذا كله كل ملل الكفر من اليهود والنصارى والمنظمات الدولية الحاقدة على الإسلام.

ومن أهم الوسائل لنشرهم الدين الرافضي هو بناء القبور والقباب عليها والاستغاثة بأهلها خاصة ما يسمى بقبور آل البيت ، وأخذ النذور والأموال التي توضع فيها . وكذا

من وسائلهم نشر الدعاة إلى الدول الإسلامية من أجل نشر دينهم الكفري. وكذا من وسائلهم دعوة التقريب بين أهل السنة والرافضة.

وكذا من وسائلهم قضية القدس ، وجعلوا لها يوماً عالميا في أخر جمعة من رمضان ، وهم في أصل دينهم لا يعترفون بالقدس ولا بقضيتها ، لأن القدس عندهم ليس في الأرض وإنما في السماء كما ذكر ذلك المحققون منهم ، أورد " المجلسي " في كتابه بحار الأنوار : " عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن المساجد التي لها الفضل فقال : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، قلت : والمسجد الأقصى جعلت فداك قال : ذاك في السماء ، إليه أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن الناس يقولون إنه بيت المقدس فقال : " مسجد الكوفة أفضل منه !!

إن الدين الرافضي من أخطر الأديان ضد المسلمين فلا يوجد مسجد واحد في عاصمة الرفض إيران لأهل السنة أبدأ ، هدموا مساجد ودور القرآن لأهل السنة في العراق وسوريا ولبنان واليمن ، لا يعترفون بالتقريب بين أهل السنة والرافضة في بلادهم ولا يفتحون المكاتب التي تدعوا لذلك ولا يرضون أبداً بذلك ، وإنما يفتحونها في البلاد الإسلامية ويحثون عليها خداعا لأهل السنة ، ولو كانت السلطة لهم فإنهم يخيرون أهل السنة إما القتل أو تغيير دينهم ، واسألوا المناطق التي استولوا عليها من أهل السنة ماذا فعلوا بهم قتل وتشريد ونهب وغصب للأعراض وغير ذلك من جرائمهم ، واليوتيوب شاهد عليهم بما فعلوه ووثقوه فيه.

يقول الوزير الإيراني : " لولا إيران لما احتلت أمريكا العراق ، ولولا إيران ما احتلت أمريكا أفغانستان " .

إن الهدف الأسمى لهم هو مكة والمدينة ، قال أحد زنادقتهم : صاحب كتاب " الإسلام على ضوء التشيع " : " إن كل شيعي على وجه الأرض يتمنى فتح وتحرير مكة والمدينة ، وإزالة الحكم الوهابي النجس عنها " ويقول الرئيس الإيراني السابق رفسنجاني : " إن جمهورية إيران الإسلامية لديها الاستعداد للحرب من أجل تحرير مكة " .

والواجب على جميع المسلمين كل على حسب موقعه التصدي لهذا الدين الرافضي بالعلم الشرعي وبنشره للمسلمين وتوعية المسلمين بخطرهم و بإنشاء المدارس والجامعات من أجل التصدي لهم ، كذلك استغلال وسائل التواصل الاجتماعي بالتحذير من هذا الخطر العظيم ، وبإنشاء القنوات الفضائية ، وطبع الكتب الإسلامية المحذرة منهم ، كمنهاج السنة الشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وكذا النشرات والكتيبات المختصرة المفيدة في التصدي لهم ، مثل : بطلان عقائد الشيعة ، لمحمد عبدالستار التونسوي ، ومن عقائد الشيعة العبدالله السلفي ، ومن أفضل الكتب المعاصرة لمن يريد إفحام الرافضة كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية – عرض ونقد – للدكتور ناصر بن عبد الله بن علي القفاري.

لابد من ترجمة هذه الكتب لجميع اللغات من أجل الحفاظ على أهل السنة ، استغلال أيضاً المساجد والمحاضرات والندوات في فضحهم وبيان خطرهم على الإسلام والمسلمين.

وبكلمة مختصرة " لا يمكن أن يجتمع الإسلام في أصوله وفروعه مع الدين الرافضي أبدا ، حتى يلج الجمل في سم الخياط " هذا دين الله تعالى فهل لك نصيب تدخره يوم القيامة في الدفاع عنه)

تعريف الزيدية : هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وسموا بالزيدية نسبة إليه .

نشأة الزيدية : كانت نشأة الزيدية سنة ١٢١ أو ١٢٢ هـ ، وذلك أن زيد بن علي –رحمه الله – لما أراد أخذ البيعة من أهل الكوفة ، أمرهم بالخروج والتأهب له ، فلما علمت الشيعة ذلك اجتمعوا عند زيد بن علي فقالوا له : ما قولك يرحمك الله ، في أبي بكر ، وعمر ؟ فقال : غفر الله لهما ، ما سمعت أحدا من أهل بيتي يتبرأ منهما ، وأنا لا أقول فيهما إلا خيرا ، فرفضوه وانصرفوا عنه ، ونقضوا بيعته وتركوه ، فلهذا سموا الرافضة من يومئذ ، ومن تابعه من الناس على قوله سموا الزيدية " ، ثم قتل زيد في المعركة التي وقعت بينه وبين الأمويين ثم قام بعده ابنه يحيى بن زيد، ومضى إلى خراسان، واجتمعت عليه جماعة كثيرة. وقد وصل إليه الخبر من الصادق جعفر بن محمد بأنه يقتل كما قتل أبوه، ويصلب كما صلب أبوه، فجرى عليه الأمر كما أخبر.

وقد فوض الأمر بعده إلى محمد وإبراهيم الإمامين، وخرجا بالمدينة، ومضى إبراهيم إلى البصرة، واجتمع الناس عليهما، وقتلا أيضا.

ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان صاحبهم ناصر الأطروش فطلب مكانه ليقتل فاختفى واعتزل الأمر، وصار إلى بلاد الديلم والجبل ولم يتحلوا بدين الإسلام بعد، فدعا الناس دعوة إلى الإسلام على مذهب زيد بن علي، فدانوا بذلك ونشأوا عليه، وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين.

وكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة ويلي أمرهم.

كما استطاعت الزيدية أيضا إقامة دولة لهم في أرض اليمن في القرن الثالث ، أقامها الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين واستمرت دولتهم بين مد وجزر وظهور وكمون إلى عام (١٣٨٢)

والزيدية تفرقوا إلى عدة فرق ، أهمها : الجارودية، والسليمانية أو الجريرية، والبترية أو الصالحية.

فرق الزيدية: الجارودية، والسليمانية أو الجريرية، والبترية أو الصالحية.

١- الجارودية: هم أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي، مات عام ١٥٠ هـ ، ومن مقالته: إن النبي، صلى الله عليه وسلم، نص على إمامة عليّ بالوصف دون الاسم، وإن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي، وبذلك خالف إمامه زيد بن علي

٢- السليمانية أو الجريرية : وهم أتباع سليمان بن جرير الزيدي الذي ظهر أيام أبي جعفر المنصور، ومن مقالته: إن الإمامة شورى، وإنها تنعقد ولو برجلين من خيار الأمة، وإنها تنعقد للمفضول مع وجود الفاضل. إلا أنهم كفَروا عثمان للأحداث التي نسبت إليه، وكفَّروا عائشة، وطلحة، والزبير لِإقدامهم على قتال علي بن أبي طالب، وطعنوا في الرافضة من أجل قولهم بالبداء وبالتقية.

٣-البترية والصالحية: أما البترية، فأتباع كثير النوى الملقب بالأبتر مات سنة ١٦٩ هـ تقريبًا. وأما الصالحية، فأصحاب الحسن بن صالح بن حي الكوفي الهمداني مات عام ١٦٧ هـ ومذهبهما في الإمامة مثل مذهب السليمانية، إلا أنهم يتوقفون في كفر عثمان لتعارض نصوص فضائله، والأحداث التي نسبت إليه، ويتوقفون كذلك في إكفار قتلته.

انتشار الزيدية وأماكن وجودهم : قامت دولة للزيدية أسسها الحسن بن زيد سنة ٢٥٠ هـ في أرض الديلم وطبرستان ،كما أن الهادي إلى الحق أقام دولة ثانية لهم في اليمن في القرن الثالث الهجري .

انتشرت الزيدية في سواحل بلاد الخزر وبلاد الديلم وطبرستان وجيلان شرقاً ، وامتدت إلى الحجاز ومصر غربا وتركزت في أرض اليمن .

تأثر الزيدية بالمعتزلة ، والاثني عشرية: الزيدية تميزت في أول ظهورها بمسألة الإمامة، وأنهم يرونها كما تراها الشيعة الاثني عشرية في علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين بن علي، ثم يختلفون عن الاثني عشرية بأن الإمامة تثبت لكل من قام ودعا الخلق إلى طاعة الله تعالى، وكان من ولد الحسن أو الحسين وهو جامع لخصال العدل والعلم، فلهذا قالوا: بإمامة زيد بن علي بعد الحسين ولم يعدوا أباه زين العابدين ولا أخاه محمد الباقر ولا ابن أخيه جعفر الصادق من أئمتهم، لأنهم لم يخرجوا ولم يدعوا لأنفسهم.

هذا ما تميز به الزيدية من الأقوال، وأما بقية أقوالهم في مسائل الاعتقاد فإنها مبنية على مذهب المعتزلة. وعلاقة الزيدية بالمعتزلة ذكر أنها قديمة من أيام زيد بن علي، فقد ذكر الشهرستاني في الملل والنحل أن زيد بن علي أخذ الاعتزال عن واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة.

وهذا لم ينقل عن زيد بن علي بسند يطمأن إليه، كما أن الشهرستاني ذكر أن محمد الباقر اعترض على أخيه زيد في أخذه عن واصل لأن واصلا يرى أن عليا أخطأ في قتاله أهل الجمل وصفين وأن كلا الفريقين على خطأ.

وهذا وإن لم ينقل بسند صحيح فإن فيه دلالة على مانع صحيح يمنع زيدا من الأخذ عن واصل، والله أعلم.

ويظهر بعد هذا الالتقاء بين الزيدية والمعتزلة حيث ذكر الأشعري في مقالاته (١٥٤/١) خروج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – في البصرة سنة خمس وأربعين ومائة أيام المنصور قال: وشخص عن البصرة في المعتزلة وغيرهم من الزيدية يريد محاربة المنصور ومعه عيسى بن زيد بن علي، فبعث إليه أبو جعفر بعيسى ابن موسى وسعد بن سلم فحاربهما إبراهيم حتى قتل، وقتلت المعتزلة بين يديه. فهذا يدل على الالتقاء بين الزيدية والمعتزلة، ولعل ما يقرب بينهما هو الخروج وذلك أن الزيدية يرون أنهم أحق بالإمامة، والمعتزلة يرون الخروج على الأئمة إذا جاروا.

ثم يظهر الالتقاء واضحا أكثر مع القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المتوفى عام (٢٤٠) ، وذلك أنه أخذ الفقه عن علماء المذهب الحنفي، وأخذ عن شيوخ المعتزلة في وقته في الأصول، وله مؤلفات منها العدل والتوحيد (الصغير) والعدل والتوحيد (الكبير) ، الأساس في علم الكلام وغير ذلك من الكتب . ثم جاء بعد القاسم حفيده يحيى بن الحسين الملقب بالهادي، الذي استولى على اليمن وهو معتزلي كتب في الاعتزال كتبا كثيرة٢ فصار بعده الزيدية معتزلة لا يختلفون عن المعتزلة إلا في الإمامة.

قال الشهرستاني : (أما في الأصول فيرون رأي المعتزلة حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، ويعظمون أئمة المعتزلة)

وأما تأثر الزيدية بالاثني عشرية : ففي الإمامة كما سبق ذكره ، وأيضًا في الطعن في الصحابة فالجارودية يكفرون الصحابة كلهم لأنهم تركوا بيعة علي رضي الله عنه ، والسليمانية يكفرون بعض الصحابة ، وهذا خلاف ما كان عليه زيد بن علي فقد كان يترضى عن الشيخين أبي بكر وعمر ويرى صحة خلافتهما.

أصول ومعتقدات الزيدية :

١ –يُجيزون الإمامة في كل أولاد فاطمة، سواء أكانوا من نسل الإمام الحسن أم من نسل الإمام الحسين . رضي الله عنهما.

. ٢ –الإمامة لديهم ليست بالنص، إذ لا يشترط فيها أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق، بمعنى أنها ليست وراثية بل تقوم على البيعة ، فمن كان من أولاد فاطمة وفيه شروط الإمامة كان أهلاً لها.

.٣– تقول الزيدية بالإمام المفضول مع وجود الأفضل إذ لا يُشترط أن يكون الإمام أفضل الناس جميعاً بل من الممكن أن يكون هناك للمسلمين إمام على جانب من الفضل مع وجود من هو أفضل منه على أن يرجع إليه في الأحكام ويحكم بحكمه في القضايا التي يدلي برأيه فيها.

٤- معظم الزيدية المعاصرين يُقرُّون خلافة أبي بكر وعمر، ولا يلعنونهما كما تفعل فرق الشيعة ، بل يترضون عنهما، إلا أن الرفض بدأ يغزوهم - بواسطة الدعم الإيراني -، ويحاول جعلهم غلاة مثله.

٥- يوافقون المعتزلة في القول بالأصول الخمسة وهي :

١-التوحيد : ويقصدون به نفي الصفات عن الله فيقولون : إن الله تعالى قديم, والقدم أخص وصف بذاته, وأنه تعالى عالم بذاته, قادر بذاته, حي بذاته؛ لا يحتاج إلى معان توجب الصفات؛ ونفوا رؤية الله يوم القيامة

٢- العدل : يقصدون به نفي أن يكون الله خالق لأفعال العباد ،فيقولون : إن الله تعالى عدل حكيم لا يفعل القبيح وأفعاله كلها حسنة, وإن أفعال العباد حسنُها وقبيحها منهم لا من الله تعالى.

٣- الوعد والوعيد: يتضمن هذا الأصل عند الزيدية, وجوب صدق الله تعالى في وعده ووعيده, وأن يُدخل الجنة أهل الجنة و يُدخل النار أهل النار, وأنه من مات مصراً على فسقه فإنه يُخلد في النار أبد الآبدين.

٤- المنزلة بين المنزلتين:وهي أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين فهو ليس بكافر وليس بمؤمن ، وهذا الأصل استبدل مؤخراً في زمن الهادي بأصل الإمامة وهو ما سارت عليه الزيدية من بعده

٥-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عند القدرة عليه, ما لم يكن الأمر أو النهي يؤديان إلى فعل منكر غير الذي نُهي عنه, أو ترك معروف غير الذي أُمر به.

ويهدف الزيدية من هذا الأصل إلى تجويز الخروج على الأئمة الظلمة, كما فعل الحسين بن علي مع يزيد بن معاوية ، وكما فعل زيد بن علي مع هشام بن عبد الملك ، يقول أبو الحسن الأشعري: (والزيدية بأجمعها ترى السيف على أئمة الجور, وإزالة الظلم, وإقامة الحق).

مصادر الزيدية:

١- مسند زيد بن علي ، زيد بن على

٢-الإحكام ، الإمام يحيى بن الحسين

٣- التاج الذهب الأحكام المذهب ، أحمد بن يحيى بن المرتضى

٤ . البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ، أحمد بن قاسم العنسي الصنعاني .

٥-شرح الأزهار ، الإمام أحمد المرتضي

الحوثيون :

تعريفهم : الحوثيون فرقة جارودية الأصل تأثرت بالاثني عشرية ، ودانت بالولاء لنظام الولي الفقيه ، وسميت بهذا الاسم ؛ نسبة إلى قائدها الأول ومؤسسها حسين بن بدر الدين الحوثي .

نشأتهم : بدأت الحوثية كحركة ثقافية في الظاهر ، ولقبوا أنفسهم بـ (الشباب المؤمن) ، واهتمت بتربية الشباب وفق المذهب الرافضي ، ثم ما لبثت أن تحولت إلى تنظيم عسكري مسلح ، ابتداء من عام ٢٠٠٤ م ، وصار اسمهم الأشهر هو (الحوثية) ، ثم تحولت إلى حركة سياسية تسير على خطى الثورة الإيرانية ، فكان مما يتم تدريسه في اتحاد الشباب في الثمانينات مادة عن الثورة الإيرانية ومبادئها ، وافتتن قادة الحوثية بأعلام الاثني عشرية كالخميني ونصر الله ، مما جعل البعض يحكم بتحول هؤلاء الحوثية من المذهب الزيدي الجارودي إلى المذهب الاثني عشري ، لا سيما بعد أن ظهرت لهم العديد من المخالفات للمذهب الزيدي ، وصدور عدد من البيانات من علماء الزيدية تعلن التبري من قادة الحوثية في حينه ، بالإضافة إلى انتشار عدد كبير من المؤلفات الاثني عشرية في مدارس الحوثية وتدريسها للطلاب الزيديين .

كما يجاهر حسين الحوثي في محاضراته بعمالته لإيران ، وذلك عبر ثنائه وإشادته بالخميني ونحلته ، ومن ذلك قوله عن الخميني : « رجل مؤمن ، تقي ، رجل مجاهد ، شجاع ، يعرف كيف يضع الخطط الحكيمة ، ينطلق انطلاقة قرآنية » .

وقال أيضا : « ذلك الرجل العظيم الذي استطاع بإيمانه وشجاعته وقوة نفسه أن يكون على هذا النحو الذي خلق فعلا تجديدا في العالم ، وخلق صحوة إسلامية ، وأرعب أعداء الله ، وعمل على إعادة الثقة لدى المسلمين بدينهم » ، وقال : « احتج الله على العرب وعلى المسلمين بإيران وبالخميني ، واحتج على الشعوب كشعوب ، على الناس كطوائف بحزب الله ») .

وترجع جذورها إلى فرقة الجارودية المنتسبة إلى الزيدية ، وقد جمعت في عصرنا بين أصلها الجارودي الرافضي وضلالات الاثني عشرية والقول بولاية الفقيه الخمينية ، وقد استطاع الحوثيون في عام ١٤٣٥ / ٢٠١٤ م بدعم من الرئيس السابق علي عبد الله صالح أن يستولوا على عدد من محافظات اليمن بما في ذلك العاصمة اليمنية صنعاء ، والاستيلاء على السلطة بالقوة بعد الانقلاب على الرئيس المنتخب.

علاقتهم بالاثني عشرية : الحوثيون يدينون بالولاء التام والمطلق لنظام الولي الفقيه في طهران وترى في الثورةالخمينية نبراساً ومنهاجاً يجب أن يحتذى، هذا هو الأصل الأصيل لدى المؤسسين للحركة الحوثية في بداياتها إلى اليوم، كما أن سلوكهم مسلك التربية والتعليم وفق تعاليم المذهب الرافضي والإثني عشري . ثم تحويل هؤلاء الاتباع والمريدين إلى ميليشيات مسلحة تنشر الموت والفزع والدمار كشأن سائر فرق الباطنية كلما تمكنت من الظهور والعلو في الأرض بغير حق.

ومما يؤكد علاقتهم بالاثني عشرية أن حركة "اتحاد الشباب" التي أسسها بدر الدين الحوثي وآخرين، تدرس ضمن مناهجها الدارسية مقررا باسم "الثورة الخمينية" يمجد الخميني ويضعه في مصاف الأئمة الكبار، ويتبنى نظرته إلى الإسلام والآخرين . فالحوثيون تبنوا ثورة الخميني وعقائده فأصبحت عقائدهم مثل عقائد الاثني عشرية لا فرق بينهم في ذلك ، ومن أبرز تلك العقائد التي اتفقوا فيها مع الاثني عشرية :

١ - زعمهم النص على خلافة علي رضي الله عنه . بعد الرسول صلى الله عليه وسلم مع الطعن في

خلافة الثالثة قبله ، يقول حسين الحوثي: "نحن متأكدون أن الإمام علياً أُقصي، أُزيح، أُبعد، عن المقام الذي اختصه به رسول صلى الله عليه وسلم وحل محله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان"

٢- الطعن في صحابة رسول صلى الله عليه وسلم والتصريح بتكفيرهم تارة، والتعريض بذلك تقية . تارة أخرى، يقول بدر الدين الحوثي .: "أنا عن نفسي أؤمن بتكفيرهم . أي الصحابة رضوان الله عليهم . كونهم خالفوا رسول صلى الله عليه وسلم "

٣-

الطعن في عرض الصديقة بنت الصديق . رضي الله عنها وعن أبيها، وهذا من أعظم منكرات هذه الطائفة وشاهد قوي على ترفضها وانتظامها في سلك الفرق الباطنية، فالحوثية وزعيمهم حسين بدر الدين

الحوثي يعمدون في مناسبات لهم بإحضار كلبة سوداء ويدفنونها إلى منتصفها ثم يقول لأتباعه: "ارموا عائشة التي لم يقم عليها الحد"

٤- القول بأن القرآن الكريم الذي بين أيدينا اليوم تعرض لمحاولات التحريف والتغيير على أيدي الصحابة. يقول حسين الحوثي : " « لولا أنه محفوظ من قبل الله لكانت فيه سور أخرى ؛ واحدة لمعاوية ، وواحدة لعائشة ، وواحدة لأبي بكر ، وواحدة لعمر ، وواحدة لعثمان ، لكن الله سبحانه وتعالى حفظه . من أجل من حفظه ؟ حتى ممن رأوا النبي ﷺ ، من أجل أن يصل إلينا نظيفا وسليما . أعتقد أنه حفظه حتى ممن كانوا في زمن الرسول ﷺ ؛ لأنّهم بعد موته كانوا يشكلون خطورة عليه كثير ، منهم معاوية ، ألم يعاصر النبي ؟ أليس صحابيا ؟ عمرو بن العاص ، أليس صحابيا ؟ المغيرة بن شعبة وعائشة أليسوا صحابة ؟، لكن لا يوجد مجال وإلا كان معاوية يختلق لك عشرين مصحفا ، يجعل لبني أمية سورة ، وفي أهل البيت من سورة تكون لعنا وسيا "

٥- الإيمان بعقيدة "الرجعة" والدعوة إلى ذلك، وهذا ما قام به الأب الروحي للحوثية بدر الدين الحوثي في كتابه "الزيدية في اليمن".

٦- الإيمان بفكرة "الولي الفقيه" الخمينية وهي التي قامت عليها الثورة لإيرانية، وهي تعني حكم الفقيه نيابة عن الإمام

المهدي، فهذه الجماعة تدين بالولاء التام والمطلق لنظام الولي الفقيه في طهران وترى في الثورة الخمينية نبراساً ومنهاجاً يجب أن يحتذى.

٧-. إحياء بدع الرافضة : من البدع الرافضية التي عمل الحوثية على إحيائها ما يلي :

أ- الاحتفال بعيد الغدير : وهو قديم في بلاد الزيدية يعود إلى عام ١٠٧٣ هـ ، إلا أن طريقة الاحتفال بعيد الغدير في زمن الحوثية قد اختلفت عن طريقة الاحتفال التي كانت موجودة من قبل ، فقد أظهر المحتفون بالغدير مزيدا من الغلو في هذا اليوم ، وأظهروا فيه أمورا ما كانت تعرف لدى الزيدية من قبل ؛ كالتعريض بالصحابة ، وإثارة الأحقاد والضغائن ضد أهل السنة .

ب – إقامة العزاء بمناسبة عاشوراء : وهذه لم توجد في بلاد اليمن إلا منذ العهد القريب بسبب الحوثيين

خطر الحوثيين : الحوثيون يرون في الثورة الخمينية نبراساً ومنهاجاً يجب أن يحتذى به، لذا أرادوا تطبيق هذه الثورة في اليمن، فقاموا بالثورة بدعم من الرئيس السابق علي عبد الله صالح فاستطاعوا أن يستولوا على عدد من محافظات اليمن بما في ذلك العاصمة اليمنية صنعاء ، والاستيلاء على السلطة بالقوة بعد الانقلاب على الرئيس المنتخب.

وقد ترتب على ثورتهم هذه مفاسد عظيمة من قتل أهل السنة وتشريدهم ، واستحلال أموالهم وأعراضهم، ونشر المذهب الرافضي .

وثورة الحوثيين ليس المقصود بها فقط الاستيلاء على اليمن وإنما لهم مخططات أخرى تصبو إليها دولة إيران وهي أذية أهل الإسلام في السعودية والاستيلاء على الحرمين لنشر اعتقاداتهم الكفرية ، ومن هنا تكمن خطورة الحوثيين

ثالثا: الصوفية:

والحقيقة أن الكلام عن الصوفية ذو شجون، وبيان المراد منهم، والتعريف بهم، وذكر أسمائهم، وبيان تاريخ نشأتهم، وذكر فرقهم وطوائفهم وطرقهم، وأورادهم وأذكارهم، وتفسيراتهم وتأويلاتهم، وما عندهم من العقائد الباطلة والمفاهيم الضالة، ومن أين تسربت إليهم هذه العقائد؟ وما هي مصادر التلقي لديهم؟ وما هي شبهاتهم؟ والكلام عن كبار الصوفية ومشايخها ورائديها ومؤسسيها، وطريقة تعاملهم مع مريديهم وتلاميذهم، وطريقة الدخول في مذهبهم، موقف الناس منهم ما بين مؤيد ومعارض وحائر وغير ذلك من الأمور التي تحتاج إلى وقت طويل وفرصة واسعة ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله ففي هذه العجالة أكتفي بالإشارة إلى شيء منها، وبالله التوفيق.

أولا: معنى الصوفية لغة واصطلاحا:

أ–معنى الصوفية لغة: قال ابن فارس في معجمه عن كلمة صوف: (الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح، وهو الصوف المعروف. والباب كله يرجع إليه. يقال كبش أصوف وصوف وصائف وصاف، كل هذا أن يكون كثير الصوف. ويقولون: أخذ بصوفة قفاه، إذا أخذ بالشعر السائل في نقرته. وصوفة: قوم كانوا في الجاهلية، كانوا يخدمون الكعبة، ويجيزون الحاج. وحكي عن أبي عبيدة أنهم أفناء القبائل تجمعوا فتشبكوا كما يتشبك الصوف)[١].

ب– معنى الصوفية في الاصطلاح، وسبب تسميتهم به: إن الصوفية مرت بمراحل وتطورات ومفاهيم مختلفة، ومن هنا كثرت الأقوال في تعريفها وتعددت الوجهات والآراء في تحديدها، قال محمد طاهر الحامدي: (قيل: إنها وصلت زهاء ألفين)[٢]، وقال الدكتور أبو بكر محمد زكريا: (وجد لديهم عبارات تفوق المئات بل الآلاف في تحديد هذا المصطلح)[٣]، وقال الدكتور عبد الحليم محمود: (إنه لم ينته الرأي فيه إلى نتيجة حاسمة بعد)[٤]، ومهما قيل عن كثرة التعريفات للتصوف، فإنه يصدق عليه عموماً أنه بدعة محدثة في الدين، وطرائق ما أنزل الله بها من سلطان، ونذكر فيما يلي بعض التعريفات التي أطلقت على مفهوم التصوف سواء، كانت

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٢٢).

(٢) التصوف المنشأ والمصدر لمؤلفه: محمد طاهر الحامدي (ص: ٣٧).

(٣) الشرك في القديم والحديث (٢/٨٥٧).

(٤) أبحاث في التصوف (ص: ١٥٣).

من الصوفية أو من مخالفيهم، ومن ذلك ما يلي:

قيل: إنهم سموا صوفية نسبة إلى الصُّفَّة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله ﷺ ولكن هذا لا يستقيم من ناحية الاشتقاق اللغوي، فإن النسبة إلى الصُّفَّة تكون الصُّفِّي، وليس الصوفي، ثم إن أهل الصفة ما تركوا الأسباب عمدا وقصدا كما يفعله الصوفية ولكن الصحابة الذين نزلوا في الصفة لم يكن في وسعهم ومقدورهم التكسب والاكتساب، ولذلك نزلوا في الصفة ضرورة، وأكلوا من الصدقة ضرورة، وعاشوا حياة الفقرة والحاجة مضطرين إليها غير مختارين لها، ولما فتح الله عليهم استغنوا عن تلك الحال، وخرجوا من الصُّفَّة، وانتشروا في الأرض، يبتغون من فضل الله ويدعون إلى دين الله، وهذا كله عكس ما يدعيه الصوفية.

قيل: إنهم سموا بالصوفية نسبة إلى الصفاء أو الصفوة، وذلك لصفاء سريرتهم ولما لهم من الفهم العميق والاستنباط الدقيق في بعض النواحي ما ليس لغيرهم ولكن لا يصح هذا من ناحية الاشتقاق اللغوي فإن النسبة من الصفاء أو الصفوة يكون صفويا وليس صوفيا، وأما دعوى اختصاصهم بالفهم الدقيق والاستنباط اللطيف فهذا أيضا غير صحيح، فإن عندهم من الخرافات والضلالات والجهالات ما الله به عليم، وسيأتي ذكر شيء من ذلك عند الحديث عن عقائدهم.

وقيل: إنما سموا صوفية نسبة لبنى صوفة قبيلة من العرب لها صلة وثيقة بالبيت الحرام، فلهذه الرابطة التي تتم بين القوم وبين بيوت الله تعالى نسب الصوفية إلى بنى صوفة، وهذا إن كان موافقا للنسب من جهة اللفظ فإنه ضعيف، لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك، ولو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وتابعيهم أولى، ولأن غالب من تكلم باسم الصوفية لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية ولا وجود لها في الإسلام.

وقيل: سموا صوفية نسبة إلى الصوف، لأنه لباس خشن بعيد عن النعومة والليونة، ومرتبط بالزهد، وبعيد عن زينة الدنيا. وكان هذا شعار رهبان أهل الكتاب الذين تأثر بهم أوائل الصوفية، وهذا الذي رجحه ابن خلدون وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم من العلماء.

وهذا التوجيه سليم لا غبار عليه من الناحية اللغوية، فتسميتهم بالصوفية نسبة إلى الصوف صحيحة من حيث الاشتقاق اللغوي، والتصوف مصدر الفعل الخماسي مصوغ من

صوف، للدلالة على لبس الصوف، كما يقال: تقمص إذا لبس القميص، يقال: تصوف إذا لبس الصوف، وكذلك لبس الصوف ولا سيما في شكله البدائي يتوافق مع الهدف الصوفي الداعي إلى التقشف والخشونة، وشظف العيش، والزهد عن الدنيا.

ولكن الصوف ذكر في القرآن على سبيل النعمة المستخدمة غالبا في الأثاث والمتاع، لقوة تحمله كالخيام والغطاء والوطاء، وما يفرش في المنازل ويتزين به، قال تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ [النحل: ٨٠ – ٨١]، وكذلك يستخدم الصوف مثل غيره من أنواع الثياب، ولبس الصوف لم يكن مرغوبا بين الصحابة، وإنما فرضته عليهم ظروف الحياة؛ لأنهم لم يجدوا غيره، ولما تيسر غيره استبدلوه، والنبي ﷺ كان يحب الثياب الحبرة والثياب القطنية، وقد لبس النبي ﷺ الصوف وغيره من الملابس، فلا ميزة ولا فضيلة ولا خصوصية للصوف من بين الملابس من الناحية الشرعية.

وقيل: التصوف هو تجريد العمل لله تعالى، والزهد في الدنيا وترك دواعي الشهرة، والميل إلى التواضع والخمول، وإماتة الشهوات في النفس.

وهذا التعريف قد لا يصدق في الواقع إلا على التصوف في عهده الأول، الذي كان التصوف فيه عبارة عن الانقطاع لعبادة الله وحده، والزهد في الدنيا والتخفيف من متاعها والإقبال على الآخرة، دون أن يلبسوا ذلك بشيء من الأفكار والسلوك المشين الذي وصلت إليه الصوفية بعد ذلك.

وجاء في الموسوعة الميسرة: (التصوُّف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخّى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق إتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم

مع الفلسفات الوثنية: الهندية والفارسية واليونانية المختلفة. ويلاحظ أن هناك فروقاً جوهرية بين مفهومي الزهد والتصوف أهمها: أن الزهد مأمور به، والتصوف جنوح عن طريق الحق الذي اختطَّه أهل السنة والجماعة)[٥]. وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله- وقد سئل عن الصوفية: (الصوفيون: جماعات اشتهروا بإحداث طرق في العبادة والتنسك ما شرعها الله في صلواتهم وفي أذكارهم وفي خلواتهم يقال لهم: الصوفية... فالتصوف هو التعبد على طريقة خاصة، لم تأت بها الشريعة، ولهذا غلب على المتصوفة البدع)[٦]، وهذا عندي من أنسب الأقوال.

ثانيا: أقسام التصوف والفرق بينه وبين الزهد:

أ-أقسام الصوفية: تشعب التصوف وتنوع، وصارت الصوفية على أنواع وأقسام، وقد قسمهم شيخ الإسلام ابن تيمية على ثلاثة أقسام: وهي:

١- صوفية الحقائق: وهم المتفرغون للعبادة والذكر والزاهدون في الدنيا.

٢- صوفية الأرزاق: وهم الذين وقفت عليهم الوقوف، وهؤلاء يشترط فيهم ثلاثة شروط:

أ- العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم.

ب- التأدب بآداب أهل الطريق وهي الآداب الشرعية في غالب الأوقات، وأما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت إليها.

ج- أن لا يكون أحدهم متمسكا بفضول الدنيا فأما من كان جماعا للمال أو كان غير متخلق بالأخلاق المحمودة ولا يتأدب بالآداب الشرعية أو كان فاسقا فإنه لا يستحق ذلك.

٣-صوفية الرسم: فهم المقتصرون على المظاهر، فيكون همهم في اللباس ونحوه، وليس لهم رصيد من العمل، فيظن الجاهل أنهم منهم وليسوا منهم[٧].

ب- المفهوم الصحيح للزهد: الزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبا فيه بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيء ليس مرغوباً فيه ولا مطلوباً في نفسه، لم يسم زاهداً، كمن ترك التراب لا يسمى زاهداً، **والزهد المشروع: هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة**، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها

---

(٥) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢٤٩/١).

(٦) فتاوى نور على الدرب (١٦٣/٣).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (١١/١٩-٢٠).

على طاعة الله، وأما ما ينفع في الدار الآخرة، فالزهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى: ﴿المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج﴾[المائدة: ٨٧] [٨].

وليس المراد بالزهد عن الدنيا تخليتها من اليد، وإخراجها وإفراغها منها، والقعود صفر اليدين خاليا منها، وليس معنى الزهد ترك العمل والاكتساب، والقعود في البيت وتجويع النفس والعيال، وتركهم يعيشون حياة بائسة نكدة، وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية، فلا يلتفت إليها، ولا يدعها تساكن قلبه وإن كانت في يده. فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك، وهي في قلبك؛ وإنما الزهد أن تتركها من قلبك، وهي في يدك، وهذا كحال الخلفاء الراشدين، وعمر بن العزيز الذي يضرب بزهده المثل، مع أن خزائن الأموال تحت يده، بل كحال سيد ولد آدم ﷺ حين فتح عليه من الدنيا ما فتح، ولا يزيده ذلك إلا زهدا فيها[٩].

ج- أقسام الزهد وأحكامه: الزهد له أقسام وأحكام وهي كما يلي:

١- زهد في الحرام، وهو فرض عين.

٢-زهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة فإن قويت التحقت بالواجب وإن ضعفت كان مستحبا

٣- زهد في الفضول، وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره، وزهد في الناس وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله.

٤- زهد جامع لذلك كله وهو الزهد فيما سوى الله، وفي كل ما شغلك عنه، وأفضل الزهد إخفاء الزهد وأصعبه الزهد في الحظوظ[١٠].

د- الفرق بين الزهد والورع: الفرق بين الزهد وبين الورع أن الزهد ترك مالا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة [١١].

هـ- الفرق بين الزهد والتصوف: لا يلتبس التصوف بالزهد، فإن بينهما فرقا، وبيان

---

(٨) انظر: مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٢٤)، ومجموع الفتاوى (٢١/١٠).

(٩) انظر: طريق الهجرتين (٥٤٨/٢).

(١٠) انظر: الفوائد لابن القيم (ص: ١١٨).

(١١) انظر: مجموع الفتاوى (٢١/١٠)، والفوائد لابن القيم (ص: ١١٨).

ذلك فيما يلي[١٢]:

١- الرغبة في الآخرة والزهد عن الدنيا في الأصل مطلوب ومحمود ومشروع، ولكن التصوف مرض طارئ وأمر زائد على الزهد المشروع.

٢- إن الزهد عبارة من ترجيح الآخرة على الدنيا، والتصوف اسم لترك الدنيا تماما.

٣- الزهد هو تجنب الحرام، والاقتصاد في الحلال، والتمتع بنعم الله بالكفاف، وإشراك الآخرين في آلاء الله ونعمه وخدمة الأهل والإخوان والخلان. والتصوف تحريم الحلال، وترك الطيبات، والتهرب من الزواج ومعاشرة الأهل والإخوان، وتعذيب النفس بالتجوع والتعري والسهر.

٤- الزهد خلق الأنبياء والأولياء وعباد الله الصالحين الذين يؤثرون ما عند الله على التنعم، والتلذذ والانشغال بالمباحات، بل يتركون بعض الطيبات من المباحات طمعًا فيما عند الله سبحانه وتعالى، وذلك لكمال زهدهم، ورغبتهم عن الدنيا. وأما التصوف فمنهج آخر لأن الصوفي إذا تحقق في صوفيته يصبح الزهد عنده شيئًا لا معنى له، فهو قد يحتاج الزهد فقط في أول الطريق الصوفي، ثم في النهاية عليه أن يعب من كل ما قدر عليه، ولو كان حرامًا في الشرع خمرًا أو زنا، أو حتى إتياناً للذكران لأن عقيدة وحدة الوجود لا تجعل في النهاية فرقًا بين الزنديق والصديق، ولا بين الأخت والأجنبية، ولا بين المَلَك والشيطان، بل ولا بين العبد والرب.

٥- الزهد منهج وسلوك مبني على الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح، وليس التصوف كذلك بل هو في كثير من عقائده وسلوكياته بعيد عن الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح بل معارض ومخالف للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، ويعتمد في كثير من عقائده وسلوكياته على غير الكتاب والسنة من الكشف والذوق والوجد وغيرها.

ثالثا: كيف نشأت الصوفية؟

لم توجد الصوفية في عهد النبي ﷺ ولا في عهد الصحابة والتابعين باسمها ولا برسمها وسلوكها، بل كانت التسمية في ذلك الوقت إما تسمية عامة جامعة مثل: المسلمين، المؤمنين، أو تسمية خاصة مثل: الصحابي، البدري، أصحاب البيعة، التابعي.

ولم يعرف في ذلك العهد الغلو العملي التعبُّدي إلا في بعض النزعات الفردية، مثل النفر

(١٢) انظر: التصوف المنشأ والمصدر (ص: ٢٦-٢٧).

الذين ألزموا أنفسهم بما لم يلزمهم الله تعالى، فألزم أحدهم نفسه بالصيام كل يوم، وعدم الإفطار يوما من الأيام، وألزم الآخر نفسه بالقيام وعدم النوم في الليل البتة، والتزم ثالث عدم الزواج والابتعاد عن النكاح، ومثل النفر الذين أنكر عليهم عبد الله بن مسعود ﷺ في مسجد الكوفة ابتداعهم للذكر الجماعي واشتغالهم به.

وفي القرن الثاني الهجري في عهد التابعين وبقايا الصحابة ظهرت طائفة من العباد آثروا العزلة وعدم الاختلاط بالناس، فشددوا على أنفسهم في العبادة على نحو لم يُعهد من قبل، وكانت من أسباب ذلك بزوغ بعض الفتن الداخلية، وإراقة بعض الدماء الزكية، وشيوع البذخ والترف، وانفتاح الدنيا وانغماس بعض الناس فيها ولا سيما بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية وكثرة فتوحاتها، فآثر هؤلاء العباد اعتزال المجتمع تصوُّناً وابتعادا من الفتن، وطلباً للسلامة في دينهم.

وكانت بداية الانحراف في جانب السلوك في البصرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام، والتصوف، فكان جمهور الرأي في الكوفة، وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة، فإنه بعد موت الحسن وابن سيرين بقليل ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، وظهر أحمد بن علي الهجيمي ت٢٠٠هـ، تلميذ عبد الواحد بن زيد تلميذ الحسن البصري، وكان له كلام في القدر، وبنى دويرة للصوفية، وهي أول ما بني في الإسلام؛ وصار لهؤلاء من الكلام المحدث طريق يتدينون به مع تمسكهم بغالب الدين. ولهؤلاء من التعبد المحدث طريق يتمسكون به مع تمسكهم بغالب التعبد المشروع، وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء وهؤلاء في القول والعمل إذ لم ينحرفوا انحراف الطائفتين من الكوفيين والبصريين: هوى ورواية ورأيا وكلاما وسماعا وإن كان في بعضهم نوع انحراف)أهـ بتصرف واختصار[١٣]

فالتصوف بدأ كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وملازمة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا مميزة معروفة باسم الصوفية، وكانوا يتوخون تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى ولكنهم ابتدعوا طرقا ومفاهيم وسلوكيات مخالفة لما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته حتى وصل بعض إلى

(١٣) مجموع الفتاوى (١٠/٣٥٧-٣٥٩).

القول بالحلول والاتحاد والفناء إلى غير ذلك من العقائد الباطلة، التي اقتبسوها من مصادر أجنبية عن الإسلام كالهندوسية والجينية والبوذية والأفلاطونية والزرادشتية والمسيحية وغيرها، كما ذكر ذلك كثير من الدارسين للتصوف[١٤].

رابعا: العلاقة بين التصوف والمذهب الباطني:

أ- **تعريف الباطنية:** هم الذين يزعمون أن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، ويزعمون أن لظواهر القرآن والسنة بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة[١٥].

ب- **قول غلاة الشيعة والصوفية بالتأويل الباطني:** الشيعة بجميع فرقها وخاصة الإسماعيلية منهم يعتقدون أن لكل ظاهر باطنا، وأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأولاده الأئمة هم المخصوصون بمعرفة الباطن، ويسمون أصحابهم وأتباعهم والموالين لهم بالخاصة، والذين لا يؤمنون بهذه الفكرة يسمونهم بالعامة، وعامة فرق الشيعة جعلت العلم بالظاهر والباطن من علوم الأئمة الخاصة، والتي يمتازون بها عن غيرهم وتعلم بها إمامتهم دون الآخرين[١٦]، وذكروا في كتبهم روايات كثيرة لتقرير الظاهر والباطن ونسبوها إلى الأئمة، فقد بوب المجلسي (ت ١١١١هـ) في بحاره بابا بعنوان: (باب أن للقرآن ظهرا وبطنا، وأن علم كل شيء في القرآن، وأن علم ذلك كله عند الأئمة عليهم السلام، ولا يعلمه غيرهم إلا بتعليمهم)، وذكر فيه ثلاثا وثمانين رواية[١٧].

وأخذ المتصوفة أفكار الشيعة ومعتقداتهم، وقالوا مثل ما قاله الشيعة والفرق الباطنية، فزعموا أن: (العلوم ثلاثة: ظاهر، وباطن، وباطن الباطن، كما أن الإنسان له ظاهر، وباطن، وباطن الباطن؛ فعلم الشريعة ظاهر، وعلم الطريقة باطن، وعلم الحقيقة باطن الباطن)[١٨]، ولهم

---

(١٤) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٢٤٩ و٢٧٠-٢٧١).

(١٥) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (ص: ١٩).

(١٦) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢٠١/١)، والتصوف...المنشأ والمصدر (ص: ٢٦٦-٢٦٨).

(١٧) انظر: بحار الأنوار (٧٨/٨٩)، وانظر أيضا: مستدرك سفينة البحار (٤٥٥/٨).

(١٨) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة (ص: ٣٣٣) نقلا من كتاب: التصوف...المنشأ والمصدر (ص: ٢٦٨).

في ذلك أقوال كثيرة[١٩].

ج- ما سبب قولهم بالظاهر والباطن؟: إنهم لم يجدوا في القرآن والسنة دليلا على عقائدهم الباطلة ودعاواهم الزائفة، ولذلك لجئوا إلى التأويل الباطني والقول بالظاهر والباطن، ليخفوا بها مساويهم، ويغروا بها أتباعهم، ويبرروا بها جرائمهم.

د- الرد على قولهم بالظاهر والباطن للنصوص الشرعية: إنهم في هذه الدعاوى مخالفون للكتاب، والسنة، وفهم سلف الأمة، وكلام العرب، ومنطق اللغة، وقواعد التفسير وضوابطها، وتعارضها الأدلة الأخرى الكثيرة المتضافرة، ويدعون لها معاني باطنية لا تفهم من ظاهر الكلام وسياق النظم القرآني البتة، فهل هؤلاء أفصح بيانا من كتاب الله أو أنهم أعلم بمراد الله من رسول الله ﷺ أو أنهم أحسن كلاما وأفصح بيانا من رسول الله ﷺ أو أنهم أحرص على صلاح الأمة وفلاحها وأنصح لها من رسول الله ﷺ أو أنهم أفهم لكتاب الله من الصحابة والتابعين وأتباعهم؟! لا يمكن أن يدعي ذلك إلا جاهل غبي أو معاند زنديق[٢٠].

إن عامة بني آدم يتخاطبون بينهم بالألفاظ ويتراسلون بها، ويفهمون المعنى ويعلمون المقصود، فإذا قال قائل: "صليت الظهر، أو صمت الخميس، أو لبست ثوبا، أو خرجت من البيت" فهم السامع كلامه وعلم مراده، ولكن إن كان القائل يريد بكلامه هذا: "عرفت الإمام، ورأيت الخليفة، واغتسلت لزيارته، وسلمت عليه وبايعته وأعطيته خمس أرباح المكاسب" ونحو ذلك من المعاني والمقاصد، فيعد ذلك من التلبيس والتعمية والدجل والتلاعب، ولا يعد من الفصاحة والبيان في شيء، ولو ذهب أحدنا إلى الدكان، وطلب من صاحبه كيسا من السكر فأعطاه كيسا من الملح، وكيسا من الأرز فأعطاه كيسا من الدقيق، وكيسا من القرنفل فأعطاه كيسا من الشاي؛ وجالونا من الحليب فأعطاه جالونا من الماء، وجالونا من الزيت فأعطاه جالونا من الحليب، فلا يقبل منه شيئا من ذلك، ولا يدفع إليه النقود البتة؛ بل ولا يتعامل معه، ولا يعود إليه بحال إذا استمر في تلاعبه هذا، وإذا كان هذا غير مقبول في كلام آحادنا فكيف يقبل ذلك في كلام الله عز وجل! بل إن هذه الطريقة الباطنية ترفع الوثوق من الخطاب تماما، ولا يمكن أن يعتمد على أي كلام ويعمل به في ضوء هذا المسلك الباطني البتة.

---

(١٩) انظر: تاريخ ابن خلدون (٦١٣/١)، والتصوف...المنشأ والمصدر (ص: ٢٦٨-٢٧٤).

(٢٠) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٨/٤ و٥/ ٢٦-٢٧ و٣٠-٣١)؛ والصواعق المرسلة (٣٢٠/١-٣٢٦).

والتأويلات الباطنية لا تستحق أن تسمى تفسيرا لكتاب الله تعالى؛ بل هي أقرب إلى التحريف وأشبه بالهذيان، وإذا أولت الآيات القرآنية بالتأويلات الباطنية يصير القرآن الكريم عبارة عن رموز وإشارات وألغاز وأحاجي بعد أن كان هدى ورحمة وتبيانا لكل شيء، وينفتح باب عظيم من الشر، ويمكن لكل عدو للإسلام أن يدخل من هذا الباب، ويأتي بمثل هذه التفسيرات الباطلة والأقاويل الضالة؛ فيبطل بذلك القرآن كله، وتعود هدايته إضلالا، ورحمته نقمة، وهذا هو هدفهم[٢١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (من فسر القرآن أو الحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين؛ فهو مفتر على الله، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام)[٢٢]

فالتأويل الباطني والقول بالظاهر والباطن لنصوص الشريعة في الحقيقة تلاعب بالشريعة وهدم للإسلام، وتمويه للحق، وترويج للباطل، وتشكيك للناس في دينهم، وتلبيس عليهم، ومسخ لدينهم وعقيدتهم، وهذا هو الهدف الحقيقي المبطن لأعداء الإسلام ومن عاونهم وصار أداة لهم.

خامسا: العلاقة بين التصوف والتشيع:

توجد روايات في كتب الشيعة منسوبة إلى بعض أئمتهم في التحذير من الصوفية[٢٣]، وكذلك توجد كتب من قبل علماء الشيعة في الرد على الصوفية[٢٤]، وفي مقابل ذلك توجد كتب من قبل الصوفية في الرد على الشيعة[٢٥]؛ ولذلك هناك من يقول من الصوفية والشيعة بأنه لا علاقة بين التصوف والتشيع، ولكن هناك أمور كثيرة تدل على العلاقة والتقارب بين

---

(٢١) انظر: منهاج السنة النبوية (٧/٢٤٥).

(٢٢) مجموع الفتاوى (١٣/٢٤٣).

(٢٣) انظر: جامع أحاديث الشيعة (١٤/٤٥٠ برقم: ٣٠٧٣-٣٠٧٤).

(٢٤) ومن تلك الكتب: الاثنا عشرية في الرد على الصوفية، لمحمد بن حسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، وذكر محققه والمعلق عليه في (ص: ١٤) في الهامش الأول ثمانية عشر كتابا للشيعة في الرد على الصوفية.

(٢٥) ومن تلك الكتب: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٣هـ)، والأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة، وهو مطبوع ضمن كتاب: شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، وكلاهما ليوسف بن إسماعيل النبهاني (ت ١٣٥٠هـ).

الشيعة والصوفية، وفيما يلي الإشارة إلى شيء منها باختصار:

١- أناس وصفوا بالتشيع والتصوف في آن واحد: منهم جابر بن حيان الكوفي (ت ٢٠٨هـ)، قال ابن النديم وهو من متقدمي الشيعة: (أبو عبد الله جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي المعروف بالصوفي. واختلف الناس في أمره، فقالت الشيعة: إنه من كبارهم، وأحد الأبواب، وزعموا أنه كان صاحب جعفر الصادق عليه السلام. وكان من أهل الكوفة. وزعم قوم من الفلاسفة أنه كان منهم. وله في المنطق والفلسفة مصنفات. وزعم أهل صناعة الذهب والفضة أن الرياسة انتهت إليه في عصره، وأن أمره كان مكتوما، وزعموا أنه كان يتنقل في البلدان لا يستقر به بلد، خوفا من السلطان على نفسه. وقيل: إنه كان في جملة البرامكة ومنقطعا إليها، ومتحققا بجعفر بن يحيى. فمن زعم هذا قال إنه عنى بسيده جعفر، هو البرمكي، وقالت الشيعة: إنما عنى جعفر الصادق...) ثم أبدى رأيه فيه وإعجابه به فقال: (وتصنيفاته أعظم وأكثر، ولهذا الرجل كتب في مذاهب الشيعة أنا أوردها في مواضعها)[٢٦]، ونقل عنه قوله: (ثم ألفت كتبا في الزهد والمواعظ) [٢٧]. ومنهم **عبد الكريم الصوفي**، المشهور بعبدك (ت ٢١٠هـ)، والذي كان رأسا غاليا في التشيع، ورأسا غاليا في التصوف[٢٨]، وحفيده محمد بن علي بن عبدك كان من مقدَّمي الشيعة[٢٩].

وهناك من يرى أن جابر بن حيان وعبدك كانا في الحقيقة من الشيعة، ولكنهما تظاهرا بالتنسك والتصوف تلبيسا على عوام المسلمين، وليتمكنا من نشر دعوتهما وعقيدتهما دون مقاومة من أهل السنة الذين دخلوا في التصوف.

٢- سلاسل التصوف كلها ما عدا القليل النادر منها تنتهي إلى علي بن أبي طالب ﵁ دون غيره من أصحاب رسول الله ﷺ، فالصوفية يزعمون أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وزين العابدين علي بن الحسين، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم وغيرهم من آل البيت هم أوائل الصوفية ونواة التصوف، وكتب الصوفية مليئة بالغلو تجاههم، وطرقهم وسلاسلهم كلها -

---

(٢٦) الفهرست (ص: ٤٢٠).

(٢٧) الفهرست (ص: ٤٢٣).

(٢٨) انظر للتفصيل: التصوف: المنشأ والمصدر (ص: ١٥٩-١٦٠)، والعلاقة بين الصوفية والإمامية (ص: ١٦٩).

(٢٩) انظر للتفصيل: الأنساب للسمعاني (٢٤٢/٨)، والتصوف: المنشأ والمصدر (ص: ١٥٩-١٦٠).

ما عدا القليل النادر منها- ترجع إليهم، وشأنهم في ذلك شأن الإمامية[٣٠].

٣- اشتهر في التاريخ أن الدولة الفاطمية كانت تبث الرفض والتشيع تحت ستار الزهد والتصوف وحب آل البيت[٣١].

٤- الدولة الصفوية التي قامت عام ٩٠٧هـ، واستمرت إلى عام ١١٤٨هـ، كانت في بداية أمرها طريقة صوفية، أنشأها صفي الدين إسحاق الأردبيلي (ت ٧٣٥هـ)، وهو الجد الخامس للشاه إسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية، ومن هذا الاسم "صفي الدين" أخذت السلالة اسم الدولة فسمتها بالصفوية، وكان صفي الدين من تلاميذ أحد المتصوفة، وهو الشيخ تاج الدين إبراهيم الجيلاني المعروف بالشيخ الزاهد، فلازمه وتزوج بابنته، وبعد وفاته صار شيخا للطريقة، وكثر أتباعه، وخلفه ابنه صدر الدين موسى، وأقام علاقات مع الطبقة الحاكمة، وخلفه ابنه علاء الدين علي الملقب بـ"سياه بوش" ولكنه اعتنق التشيع، وصار يدعو إليه، فحول مسار دعوة جده من التصوف إلى التشيع، وبعد توليه الزعامة الروحية بثماني وثلاثين سنة توفي عام ٨٣٠هـ، وتولى بعده ابنه إبراهيم ومشى على درب والده، ولما توفي عام ٨٥١هـ خلفه ابنه جنيد الملقب بـ"شيخ شاه"، وحول الدعوة المذهبية إلى حركة سياسية تعتمد في إثبات وجودها على الأعداد الضخمة من المريدين، وعبأهم في تنظيم شبه عسكري، وتمت على يده التحول الكامل إلى المذهب الاثني عشري، وأعلن انفصاله التام عن أهل السنة والجماعة، بل صار يحاربهم، ولكنه قتل في إحدى الحروب عام ٨٦٤هـ، فخلفه ابنه حيدر، وحول الحركة الصفوية من طورها الديني إلى العسكري، وكون جيشا للانتقام لوالده، ولكنه أيضا قتل عام ٨٩٣هـ، وفي الأخير فر إسماعيل بن حيدر إلى مدينة كيلان على بحر قزوين جنوب أردبيل، فرعاه الصوفية وساندوه، وتمكن من جمعهم حوله، وتوجه بهم إلى أمير دولة التركمان "آق قونيلو" سنة ٩٠٧هـ، وقتله وجلس على سرير ملكه، وبايعته قبائل التركمان لاعتقادها بالطرق الصوفية، وأعلن دولته الصوفية في مدينة تبريز شمال غرب إيران ثم سك عملة للبلاد كاتبا عليها: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله) وأمر بسب الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل، وفرض المذهب الشيعي الاثني عشري، وأعلنه مذهبا رسميا وحيدا وإجباريا

---

(٣٠) انظر للتفصيل: التصوف: المنشأ والمصدر (ص: ١٦٤-١٧٦).

(٣١) انظر للتفصيل: العلاقة بين الصوفية والإمامية (ص: ٩٤).

لدولته، وامتحن أهل السنة بأنواع المحن من التضييق والتشريد والقتل والإبادة(٣٢)، فهذه الدولة الطاغية الباغية بدأت بالتصوف وانتهت بالرفض والتشيع الغالي.

٥- توجد مؤسسات صوفية تتبنى بعض معتقدات الإمامية، منها: جمعية آل البيت الخيرية، وجمعية الثقلين الخيرية، وكلتاهما في السودان، وفيهما تقام مجالس العزاء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابن الحسين، والاحتفال بمولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها وغير ذلك(٣٣).

٦- المصنفات والشروح لعلماء الطائفتين على كتب الطائفة الأخرى: أ- خدمة علماء الشيعة لكتب الصوفية وتبجيلهم لأساطينها: مثل : "نص النصوص في شرح الفصوص" لحيدر بن علي العبيدي الآملي (ت ٧٩٤هـ)، وله كتاب باسم: "جامع الأسرار ومنبع الأنوار في أن عقائد الصوفية موافقة لمذهب الإمامية الاثني عشرية"، و"المحجة البيضاء في إحياء الأحياء" لمحمد بن المرتضى المشهور بالفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، وهو تهذيب للإحياء للغزالي، والخميني يصف ابن عربي بالشيخ الكبير وصدر الحكماء المتألهين وشيخ العرفاء الشامخين، والعارف الكامل، وقد كتب تعليقا على كتاب الفصوص لابن عربي، وهو مطبوع متداول(٣٤).

ب- وكذلك يلاحظ عناية الصوفية بكتب الشيعة في عدة جوانب من أبرزها كتابة التقديمات والتقريظات على أمهات الكتب الإمامية وطباعة كتبهم ونشرها، وتأليف الكتب التي تخدم الفكر الإمامي وتراثه، فقد كتب أبو الوفاء الغنيمي مقدمة لكتاب وسائل الشيعة ومستدركاتها للجزء الثالث منه، وكتب محمد زكي إبراهيم كتابا بعنوان: مزارات أهل البيت، وصنَّف محمد النيل حمد الريح وهو من كبار الطريقة القادرية في الخرطوم سماه: "الفرق بين الفرق" وعقد فيه فصلا لمناقشة المتعة بين التحليل والتحريم، وسجل خلاصته التي وصل إليها فزعم بأن حكم المتعة باق وجار وأن الذين يحرمونه فهم على غير هدي! وألف كتابا آخر سماه: "أبو طالب مؤمن قريش"، وهو شبيه بالكتاب الذي صنفه المفيد وسماه: إيمان أبي طالب، والذين على هذا المنوال من الصوفية كثيرون(٣٥).

---

(٣٢) انظر للتفصيل: خلاصة تاريخ العراق (ص: ١٦٢)، ونزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق (ص: ١٥٤-١٥٥).

(٣٣) انظر: الصلة بين الصوفية والإمامية (ص: ١٧٦).

(٣٤) انظر: الصلة بين الصوفية والإمامية (ص: ١٩٠-١٩٨ و٤١٤-٤١٧).

(٣٥) انظر: الصلة بين الصوفية والإمامية (ص: ١٩٠-١٩٨ و٤١٤-٤١٧).

٧-اشتراك التصوف والتشيع في كثير من العقائد: الصوفية يقولون بالقطب، والشيعة يقولون بالإمام المعصوم، والصوفية يقولون بالخلافة الباطنة للقطب وغيرهم، والشيعة يقولون بالخلافة التكوينية للأئمة، فكلتا الطائفتين يقولون بالخلافة المعنوية الباطنة...وفي الحقيقة قطبانية الصوفية هي الإمامة عند الشيعة[٣٦] بل يشترك الصوفية والشيعة في كثير من العقائد والسلوكيات والمزاعم، فالعداء لأهل السنة والجماعة، والغلو في محبة آل البيت، وتعظيم القبور والمشاهد، والبناء عليها واتخاذها مساجد، والاستغاثة بأهلها، وإحياء المناسبات الحولية كالاحتفال بالمولد النبوي، والعاشوراء من شهر محرم، وموالد آل البيت، والذكر الجماعي، والأوراد البدعية والشركية، ودعوى حلول الإله أو الجزء الإلهي في الخلق، وإجراء النبوة بعد خاتم النبيين ﷺ، ونزول الوحي وإتيان الملائكة، وحصول العصمة، ووجود شخص في كل عصر وزمان به قيام الأرض وثباتها، وعقيدة الوصاية والولاية، والإخفاء والكتمان، والتأويل، وانقسام العلم إلى الظاهر والباطن، وتقسيم الناس إلى العامة والخاصة، وتعطيل الشريعة ومسخها، ومسخ تعاليمها، ورفع التكليف وغير ذلك من الخرافات والترهات التي لا علاقة لها بالإسلام ولكن يقول بها الشيعة والصوفية وكلهم يدعون إليها[٣٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض حديثه عن الغوث لدى الصوفية: (وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لابدّ في كل زمان من إمام معصوم يكون حجة الله على المكلفين، لا يتم الإيمان إلا به)[٣٨]، وقال أيضا بعد أن ذكر جملة من معتقدات الرافضة نحو أئمتهم من العصمة ومعرفة الغيب ونحوها: (وكثير من الغلاة في المشايخ يعتقد أحدهم في شيخه نحو ذلك، ويقولون الشيخ محفوظ، ويأمرون باتباع الشيخ في كل ما يفعل، لا يخالف في شيء أصلا، وهذا من جنس غلو الرافضة والنصارى، والإسماعيلية تدعي في أئمتها أنهم كانوا معصومين)[٣٩].

وقال ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ): (وكان سلفهم [أي: الصوفية] مخالطين للإسماعيليّة المتأخّرين من الرّافضة الدّائنين أيضا بالحلول وإلهيّة الأئمّة مذهبا لم يعرف لأوّلهم، فأشرب كلّ واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم، وظهر في كلام

(٣٦) انظر: الصلة بين الصوفية والإمامية (ص: ١٧٦).

(٣٧) انظر للتفصيل: التصوف..المنشأ والمصدر (ص: ١٥٣-١٥٤).

(٣٨) مجموع الفتاوى (١١/٤٣٩).

(٣٩) منهاج السنة النبوية (٦/١٨٩).

المتصوّفة القول بالقطب، ومعناه رأس العارفين)[٤٠].

٨- شهادات الباحثين والدارسين: قال المستشرق براون (BROWN): (إن التشيع والتصوف كانا من الأسلحة التي حارب بها الفرس العرب)[٤١]، وقال أمين الريحاني: (إن في العالم الإسلامي قطبين للصوفية وموردين؛ وهما: إيران، وبلاد المغرب)[٤٢]، وهناك رسالة علمية بعنوان: (العلاقة بين الصوفية والإمامية)، وهي رسالة الدكتوراه، للباحث: زياد بن عبد الله الحمَام، قدمت إلى قسم الثقافة الإسلامية في كلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض، وهي مطبوعة ويحسن الرجوع إليها للاستزادة والتفصيل.

سادسا: مصادر التلقي عند الصوفية:

مصادر التلقي الرئيسة عند الصوفية عموما ثلاثة: الكشف والذوق والوجد، وتحت كل منها أقسام ودرجات، وهذا لا ينفي وجود مصادر أخرى ثانوية عندهم، وهم خالفوا بهذه المصادر كتاب الله وسنة رسوله، وقدموها عليهما عند التعارض، راكبين مطايا التأويل والجدال بالباطل، وقد ادعى بعضهم الاستغناء عن التلقي من الكتاب والسنة زعما منه الأخذ عن الله تعالى إلهاما أو مناما أو عروج روحه إليه سبحانه أو بسماع خطابه تعالى أو يزعم أخذ الشريعة من النبي ﷺ يقظة أو مناما.

أولا: الكشف.

أ- معنى الكشف في اللغة والاصطلاح:

معنى الكشف لغة: الكشف رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه، وكشف الأمر يكشِفُه كشفا، أي: أظهره.

والكشف اصطلاحا: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب، من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية، وجودا وشهودا.

ب- أنواع الكشف وأقسامه عند الصوفية: الكشف لفظ عام، يشمل الأمور الكونية والشرعية، ويدخل تحته أنواع، وكل نوع منها قد يحتمل درجات، وقد يختص بموضوعات، وقد

---

(٤٠) تاريخ ابن خلدون (١/٦١٩-٦٢٠).

(٤١) نقله الشيخ إحسان إلهي ظهير في: التصوف..المنشأ والمصدر (ص: ٢٩٩).

(٤٢) العرفان الإسلامي (ص: ١١٧).

يحصل بينها الاشتراك في بعض هذه الموضوعات، وأنواع الكشف كما يلي:

أولا: النبي ﷺ: وليس المراد به الأخذ بالأحاديث النبوية من دواوين السنة وقراءتها والاستفادة منها، بل هم يزعمون أنهم يجتمعون مع النبي ﷺ يقظة بعد موته، ويشافهونه بالخطاب، ويسألونه عن الأحاديث والمسائل والأحكام، والوقائع المستقبلية والأذكار والأوراد وغيرها، ويستشيرونه في كل أمورهم، والنبي ﷺ يجيبهم على ذلك مشافهة.

ثانيا: الخضر عليه السلام: فهم يزعمون بقاءه وحياته إلى آخر الزمان، ويزعمون أنهم يلتقون به ويأخذون عنه الأحاديث والأحكام والعلوم والأوراد والأذكار والمناقب، وله عندهم صور مختلفة يلتقون فيها.

ثالثا: الإلهام: وهو ما يحصل من العلوم في القلب، من غير استدلال ولا نظر، وهو حجة عندهم.

ويحصل ذلك إما عن طريق الملك بنزوله إليهم واستشارتهم إياه، وإما عن طريق ارتفاع الوسائط بين العبد وبين الله تعالى، ومن هذا الباب ولج من يدعي تفضيل الولي على النبي والرسول؛ لأن الولي في هذه الحالة يأخذ من حيث يأخذ الملك وأما النبي والرسول فهما يأخذان بواسطة الملك، والولي يأخذ عن الله بلا واسطة.

رابعا: الفراسة: يزعمون أنها تختص بمعرفة خواطر النفوس، وأحاديثها وما يضمره المرء في قلبه، والولي عنده من النور ما به له الإشراف على القلوب ومعرفة كوامن النفوس.

خامسا: الهواتف: ويعنون به سماع خطاب بواسطة الأذن، وقد يكون مناما وقد يكون في حالة بين اليقظة والنوم وقد يكون يقظة، ولكنه يسمع الصوت فقط ولا يرى صاحبه، والمخاطب إما أن يكون الله تعالى أو النبي ﷺ أو الخضر عليه السلام، أو جن صالح، أو ولي من الأولياء، أو إبليس، والهواتف عندهم من أسباب تزكية النفوس وتلقي المعرفة، وتصحيح المعاملات.

سادسا: الإسراءات والمعاريج: ويعنون به عروج روح الولي إلى العالم العلوي وجولانها هناك، وإتيانها بعلوم شتى من أسرار الكون وعجائب المكونات، وإفاضة العلوم عليهم هنالك بواسطة الأنبياء والملائكة، والبلوغ منتهى الأرب بالفناء في ذات الله تعالى.

سابعا: الكشف الحسي: يعنون به الكشف عن حقائق الوجود من العرش إلى الفرش

بارتفاع الحجب الحسية عن عين القلب وعين البصر، والاطلاع على ذلك قد يكون بعين البصر وقد يكون بعين البصيرة وقد يكون بهما معا، فيزعمون أن الولي يخرق أطباق السماوات والأرض ويتحدث عن حقائق الموجودات العلوية والسفلية.

ثامنا: الرؤى والمنامات: مصدر مهم عندهم فقد بنوا عليه كثيرا من ترهاتهم وروجوا به كثيرا من ضلالاتهم، وكثيرا ما يزعمون التلقي مناما عن الله تعالى أو عن النبي ﷺ أو عن نبي غير نبينا أو عن الصحابة أو شيخه ومرشده، وغير ذلك.

فهذه الأنواع كلها داخلة في مسمى الكشف، مما يدل على دخول هذه الأقسام في مسمى الكشف قول شيخ الإسلام ابن تيمية أثناء كلامه عن الخوارق والكرامات حيث ذكر بعض هذه الأقسام فقال: (فما كان من الخوارق من "باب العلم" فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره. وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره يقظة ومناما. وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره وحيا وإلهاما أو إنزال علم ضروري أو فراسة صادقة، ويسمى كشفا ومشاهدات ومكاشفات ومخاطبات: فالسماع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله "كشفا " و"مكاشفة"؛ أي: كشف له عنه)[٤٣].

ثانيا: الذوق:

أ- معنى الذوق في اللغة والاصطلاح:

الذوق في اللغة: الذوق مصدر ذاق الشيء يذوقه ذوقا وذواقا ومذاقا، فالذَّواق والمذاق يكونان مصدرين، ويكونان طعما، والمذاق طعم الشيء، والذُّواق هو المأكول والمشروب، والذوق يكون فيما يكره ويحمد.

والذوق في الاصطلاح: حال يفجأ العبد في قلبه، ونور يحصل في قلوب الأولياء بسبب تجلي الله فيها، يفرقون به بين الحق والباطل ويعبرون به عما يجدونه في قلوبهم من ثمرات التجلي ونتائج الكشوفات.

ب- الذوق عند الصوفية له إطلاقان: عام وخاص، فالعام ينتظم جميع الأحوال والمقامات، وبإمكان السالك أن يتذوق حقيقة النبوة ويدرك خاصيتها وأما الذوق بالمعنى الخاص فيرتبط عندهم بالتجلي الإلهي على تفاوت في درجات التجلي والتي أولها الذوق، فإن

---

(٤٣) مجموع الفتاوى (١١/٣١٣).

أقام التجلي نَفَسَين فهو الشرب، وبعده يكون الري باكتفاء المحل عن طلب الزيادة، وهو آخر مراحل الذوق.

ج- الفرق بين الكشف والذوق: الكشف الصوفي قد يكون بالقلب مثل رؤية القلب لبعض الأمور العلوية والسفلية، وحلول العلوم على القلب إلهاما وغير ذلك، وقد يكون بالعين الباصرة مثل رؤية النبي ﷺ أو الخضر أو أحد الملائكة يقظة، وقد يكون عن طريق السمع مثل الهواتف. وأما الذوق الصوفي فليس فيه لبصر العين وسمع الأذن نصيب، بل يختص بالقلب عن طريق التجلي الإلهي لهذا القلب.

وكذلك الكشف يكون في حال اليقظة وحال النوم والحال التي تكون بينهما، وأما الذوق فهو يكون في حال اليقظة أو في حال الفناء.

د- الفرق بين رؤية القلب لله في حالة المكاشفة ورؤيته له في حال الذوق: الرؤية القلبية لله حال المكاشفة يكون بسعي العبد لإزالة الحجب عن القلب، حتى يحظى بالرؤية، وأما في حال الذوق فإنه يفجأه التجلي، ولا دخل للقلب في استجلاب هذه الرؤية.

ثالثا: الوجد:

أ- معنى الوجد في اللغة والاصطلاح:

الوجد في اللغة: مصدر من وجد يجد وجدا وجدة ووجدانا، يقال: وجد المطلوبَ أي: أدركه، ويقال: وجد المال؛ أي: استغنى، ويقال: وَجَدَ عليه، أي: غضب، ويقال: وجد به وجدا؛ أي: أحبه.

الوجد في الاصطلاح: قال بعضهم لا يمكن التعبير عنه ولا التعريف به، ولهم عبارات كثيرة في تعريف الوجد، وكل عرف حسب ما ظهر له، ويمكن أن يقال هنا من باب التقريب والتفهيم لكم: أن الوجد عند الصوفية عبارة عن حالة يثمرها السماع.

وقد تكون هذه الحالة متعلقة بالمكاشفات والمشاهدات التي هي من قبيل العلوم والتنبيهات، وقد تكون راجعة إلى الأحوال التي ليست من العلوم مثل الشوق والخوف والحزن والقلق والسرور، والحالة الأولى هي التي من أسباب العلم دون الثانية.

ب- الفرق بين الوجد والكشف: ١- الوجد الصوفي مرتبط بالسماع، وسماع الأشعار الملحنة بالأنغام والأوتار والدفوف وغيرها عامل أساس وسبب أصلي في الوجد، وأما هو

بالنسبة للكشف فأمر ثانوي.

٢- ليس كل الوجد مكاشفات، فقد يكون في الوجد مكاشفات ومشاهدات التي من قبيل العلم وقد لا تكون من قبيل العلم مثل الحزن والسرور ونحوها ولكن المكاشفات كله علم كما تقدم.

٣- المشاهدة في الوجد لا تكون إلا بفناء، والمشاهدة في الكشف تكون بالفناء وبغير فناء.

٤- الوجد يكون في حال اليقظة والكشف يكون في اليقظة وفي النوم والحالة التي تكون بينهما.

ج- الفرق بين الوجد والذوق: الوجد الصوفي سببه السماع، والذوق سببه التجلي الإلهي على القلوب، والوجد لا تجلي فيه، والمشاهدة في الوجد فيها هلاك للعبيد، وهي في الذوق مدعاة لطلب المزيد إلى غير ذلك من الفروق التي يذكرها الصوفية.

ج- أنواع الوجد ومراتبه: الوجد له ثلاث مراتب، وهي:

١- التواجد: هو استدعاء الوجد بنوع تعمل وتصنع، واستجلاب الأحوال الشريفة، وهو من باب التفاعل الذي يكون فيه إظهار الصفة وهي ليست كذلك.

٢- الوجد: إما يرجع إلى الأحوال، بمعنى أن ينزل السالك ما يرد على سمعه من الأبيات والأشعار على حاله مع الله، من شوق أو وصل[٤٤] أو غير ذلك، وإما يرجع إلى المكاشفات والمشاهدات؛ فيستفيد علما لم يكن عنده من قبل، ويتوصل إليه بنوع فناء ولكنه لا يدوم.

٣- الوجود: يكون بمشاهدة الحق في الوجد، ويكون على وجه الدوام، ويكون بعد خمود البشرية.

د- الفرق بين الوجد والوجود:

كل وجود وجد لا العكس، فالوجود أخص من الوجد.

الوجود معناه مشاهدة الحق (الله) أثناء الوجد، وأما الوجد فقد يحصل فيه المشاهدة وقد لا يحصل.

---

(٤٤) المراد به: الانقطاع عما سوى الحق، وليس المراد اتصال الذات بالذات، وأدنى الوصال مشاهدة العبد ربه بعين القلب، فإذا رفع الحجاب عن قلب السالك وتجلى له يقال الآن واصل.

الوجد تكون فيه المشاهدة كالبرق الخاطف، وأما الوجود فتطول فيه المشاهدة وتدوم بدوام الشهود.

قال القشيري: (التواجد بداية، والوجود نهاية، والوجد واسطة بين البداية والنهاية)[٤٥].

ويستعان لتحقيق الوجد بأنواعه الثلاثة بوسائل صناعية، كآلات اللهو والطرب، من الأوتار المصوتات والدفوف، وأصوات القوالين بالأشعار المطربة الملحنة، فيكون لذلك تأثير على النفوس بسكرها أشد مما يصيب العقل من شراب الخمر في الكوؤس، فتسغويهم الشياطين بإلقاء ما قد يظنونه مكاشفات رحمانية وعلوما عرفانية ربانية، حصلت في قلوبهم، ويزعمون أنها حديثة العهد بربها، لا كعلوم أهل الرسوم المتوارثة جيلا عن جيل وميتا عن ميت.

وهناك مصادر أخرى ثانوية عندهم منها: تلقي المريدين عن أشياخهم المقبورين، ومخاطبة الشيوخ المقبورين تلاميذهم مشافهة وإجابتهم على أسئلتهم، والتلقي عن الأنبياء والاجتماع بهم والاستفادة والاقتباس منهم، والاجتماع بالصحابة ورؤيتهم، والاستفادة منهم، ورؤية أشياخهم رؤية روحانية أو يقظة، وإلباس الشيخ المريد لباسا أو ضربه على صدره فينكشف له العلم ويرى ويتضح له كل شيء، وهكذا.

الحاصل: أن الصوفية جعلوا هذه المصادر قطعية الدلالة على العلوم التي تستفاد بواسطتها، وكل ما خالف ذلك يردونه ويؤولونه ويحرفونه، ولو كان هذا المخالف هو الكتاب والسنة، فإن دلائل الكتاب والسنة عند الصوفية ليست قطعية مثل علوم الكشف والإلهام، فإذا تعارض القطعي مع الظني قدم القطعي، ومسلكهم هذا شبيه بمسلك أهل الكلام الذين يعتبرون العقل قطعي الدلالة والنقل ظني الدلالة، ويجعلون العقل قاضيا وحاكما على النقل فيقدمون العقل على النقل عند التعارض، فالأصل الأصيل للتلقي عند الشيعة قول الإمام، وعند الفرق الكلامية العقل، وعند الصوفية الكشف والذوق والوجد، وأما الكتاب والسنة فهم وإن كانوا يذكرونها في كتبهم ولكنها لا تكون من باب الأصل والاعتماد وإنما تكون من باب التبعية وزيادة الشهود على النصاب[٤٦].

---

(٤٥) الرسالة القشيرية (ص: ٣٤).

(٤٦) يحسن الرجوع للاستزادة والتفصيل: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضا ونقد تأليف: صادق سليم صادق، وهو منشورات مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

سابعا: ذكر بعض عقائد الصوفية المهمة، وبيان موقف الإسلام منها:

أولا: موقف غلاة الصوفية من الله سبحانه وتعالى

أ – عقيدة الحلول: تزعم غلاة الصوفية أن الله تعالى يحل في أجسادهم مما يكسبهم الصفات الإلهية، وقد ادعى غير واحد منهم أن الله سبحانه وتعالى قد حل فيه فقد قال بعضهم: أنا الحق، وقال الآخر: سبحاني! ما أعظم شأني؟ وقال ثالثهم: ما في الجبة إلا الله، وكان الحلاج يقول: أنا من أهوى ومن أهوى أنا :: نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته :: وإذا أبصرته أبصرتنا [٤٧].

فالصوفية من عقيدتهم القول بحلول الله تعالى فيهم ودعواهم لذلك ومحاولتهم للحصول على تلك الحالة والوصول إلى تلك المرتبة ولا شك أنها عقيدة باطلة، فإن النصارى يعتقدون في المسيح عليه السلام أنه ذو طبيعتين : لاهوتية وناسوتية[٤٨]. وقد رد الله ذلك عليهم، وكفَّرهم من أجله [٤٩]. فقال تعالى: ﴿ يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت ﴾ [المائدة: ١٧] وقال تعالى: ﴿الرجيم قال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ ﴿سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان ﴾[المائدة: ٧٢ – ٧٣].

فإذا كان الله سبحانه وتعالى كفر النصارى لقولهم بوجود طبيعة إلهية في المسيح عليه السلام فقط مع أنه من عباد الله المقربين وواحد من أولى العزم من الرسل فكيف بهؤلاء المتصوفة الذين ادعوا حلول الله تعالى فيهم وفتحوا الباب لكل أحد منهم وبينهم وبين درجات عيسى عليه السلام مراحل بل مفاوز تنقطع دونها أعناق المطايا، فلا شك أن كفر هؤلاء الزاعمين من المتصوفة أبين وأنكر

---

(٤٧) انظر : هذه هي الصوفية (ص : ٥٣) .

(٤٨) انظر : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة (ص : ٥٦)؛ وشرح الأصول الخمسة (ص : ٢٩٢)؛ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٥)؛ وهداية الحيارى (ص : ٣٢٢–٣٢٤)؛ واليهودية والمسيحية للأعظمي (ص : ٣٠١) .

(٤٩) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٢٢٠ و ٢٢٢) .

وأشد من كفر النصارى.

ب – عقيدة وحدة الوجود: إن كبار الصوفية كلهم يؤمنون بوحدة الوجود، فيزعمون أنه ليس هناك فرق بين الخالق والمخلوق والعابد والمعبود بل الكل واحد؛ فالخالق عين المخلوق، والمخلوق عين الخالق، وأقوالهم في ذلك كثيرة جدا، ومنها ما قاله ابن عربي:

الرب حق والعبد حق يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف

وقال أيضا:

لا تراقب فليس في الكون إلا واحد العين وهو عين الوجود
فيسمى في حالة بمليك ويكنى في حالة بالعبيد

وقال أيضا:

كل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

وفي ذلك يقول الصوفي الملحد عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي القادري ٨٣٢هـ مقررا هذه العقيدة الفاسدة:

وما الخلق في التمثال إلا كثلجة وأنت بها الماء الذي هو نابع
وما الثلج في تحقيقنا غير مائه وغيران في حكم دعته الشرائع [٥٠]
ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه ويوضع حكم الماء والأمر واقع
تجمعت الأضداد في واحد البها وفيه تلاشت وهو عنهن ساطع[٥١]

وقال عبد الغني النابلسي ت ١١٤٣هـ:

ليس في الوجود كما يقال اثنان حق وخلق، إذ هما اثنان
هذا المقال عليه قبح عقيدة عند المحقق ظاهر البطلان[٥٢]

فابن عربي والجيلي والنابلسي ومن وافقهم[٥٣] يعتقدون بوحدة الوجود، ويزعمون كما أنه

---

(٥٠) تأمَّلْ سخريته بالشرائع الإلهية، وما ذلك إلا لأنها تحكم بالمغايرة بين الخالق والمخلوق، ولا تقول بالوحدة بين الخالق والمخلوق وحدة الماء والثلج التي يزعمها الجيلي وأمثاله من الملاحدة القائلين بوحدة الوجود .

(٥١) الإنسان الكامل (٣٣/١) .

(٥٢) ديوان الحقائق للنابلسي (١٧٠/٢) بواسطة: عقيدة الصوفية (ص: ٢٩).

(٥٣) انظر : أقوال القائلين بوحدة الوجود مع بيان بطلانها في كتاب : هذه هي الصوفية (ص : ٢٢-٦٨) .

لا فرق بين الماء والثلج إلا في الاسم؛ إذ الماء ثلج ذائب، والثلج ماء متجمد، فكذلك لا فرق بين الخالق والمخلوق إلا في الاسم. فالخالق هو أصل المخلوق كالماء للثلج، والمخلوق هو مجلى الخالق ومظهره كالثلج للماء. فالخالق متحد بخلقه، وهو عينهم في زعمهم.

وهذا القياس الذي جاء به القائلون بوحدة الوجود من أفسد القياس وأبطل الباطل؛ لأنه يوصل صاحبه إلى أبشع أنواع الكفر والضلال والشرك بل يؤدي في الحقيقة إلى الزندقة، وإنكار وجود الله تعالى، فالعياذ بالله.

وأول سورة في المصحف الكريم، وهي سورة الفاتحة تدحض هذا المذهب الخبيث وتبين بطلانه، فقد اشتملت على أدلة كثيرة مبطلة لهذه المقالة الخبيثة، فقد أثبت الله فيها حامدا ومحمودا، وربا ومربوبا، وراحما ومرحوما، ومالكا ومملوكا، وعابدا ومعبودا، ومستعينا ومستعانا به، وهاديا ومهديا، ومنعما ومنعما عليه، وغاضبا ومغضوبا عليه، بخلاف ما عليه القوم من أن الكل وحدة واحدة [٥٤].

ثم إن القول بوحدة الوجود قياسا على الثلج وما يأتون به من الأمثلة باطل إذ هو قياس مع الفارق؛ فإن أجزاء هذه الأشياء لا ينفصل بعضها عن بعض بخلاف سائر الموجودات في هذا الكون؛ فإن كل موجود مستقل عن الآخر. فإذا كان الإنسان مثلا منفصلا عن الإنسان الآخر، فلا يقول عاقل يدري ما يقول أن بينهما اتحادا ذاتيا، وكذلك الإنسان منفصل عن سائر المخلوقات.

فإذا كان الاتحاد الذاتي ممتنعا بين المخلوق والمخلوق فهو بين الخالق والمخلوق ممتنع من باب أولى[٥٥].

والله تعالى يقول: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
قال تعالى: ﴾ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾
[الإخلاص: ١ - ٤] فهو سبحانه وتعالى منزه أن تكون ذاته مادة خلق لغيره[٥٦]، بل هو سبحانه بائن بذاته عن مخلوقاته؛ فليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، ومن

---

(٥٤) انظر : بدائع التفسير (١٦٢/١-١٦٣) .

(٥٥) انظر : القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة (ص : ١٩٣) .

(٥٦) انظر : الشرك في القديم والحديث (٤٨٤/١-٤٨٥) .

قال: إن شيئا من صفات الله تعالى حال في العبد، أو قال بالتبعيض على الله فقد كفر، وقد اتفق على ذلك سلف الأمة وأئمتها [٥٧].

قد سبق بيان بطلان زعمهم أن الله سبحانه وتعالى يحل في بعضهم وأن الله سبحانه وتعالى لأجل ذلك كفر النصارى لدعواهم هذه الدعوى في المسيح عليه السلام فقط فمن يرى من الصوفية الاتحادية أن كل شيء من المخلوقات والموجودات هي عين الخالق الإله الواحد الأحد الصمد فكفره أظهر وأبين وأشد من كفر النصارى.

ثانيا: موقف الصوفية من الأنبياء والرسل عليهم السلام: إن غلاة الصوفية لديهم تنقص كثير من الأنبياء والمرسلين، بل منهم من يزعم أنه أعلم وأفضل من الأنبياء والمرسلين، فقد قال أبو يزيد البسطامي: (خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله) ولعل السبب كما زعموا أنهم يتلقون العلم عن الله تعالى مباشرة، وفي ذلك يقول البسطامي: (أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت) وزعم ابن عربي بأنه (آخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول)، قال أيضا: (علماء الرسوم يأخذون خلفا عن سلف إلى يوم القيامة، فيبعد النسب، والأولياء يأخذون عن الله، ألقاه في صدورهم من لدنه رحمة منه وعناية سبقت لهم عند ربهم) بل زعم ابن عربي أن الدين كان ناقصا بعد الرسول ﷺ وأن بناء النبوة كان فيه موضع لبنتين فكمل خاتم النبيين ﷺ إحداهما دون الأخرى، فجاء خاتم الأولياء يعني الزنديق بذلك نفسه فكملها وبذلك تم الدين[٥٨].

فأين هذا الهراء الصوفي من قول الحق جل وعلا: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ [المائدة: ٣] وأين هذه الدعوات الباطلة من قول النبي ﷺ: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع))[٥٩].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (لو كان المخاطب لنا من يفضل إبراهيم أو موسى أو عيسى على محمد ﷺ لكانت مصيبة عظيمة لا يحتملها المسلمون فكيف بمن يفضل رجلا من أمة محمد على محمد وعلى جميع الأنبياء والرسل في أفضل العلوم، ويدعي أنهم يأخذون ذلك من مشكاته؟

---

(٥٧) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢٦/٢، ٣٤٠ و٨٣/٥ و٥٩٨/١٢)؛ وهداية الحيارى (ص : ٣١١).

(٥٨) انظر : فصوص الحكم (١٦٢/١-١٦٣) وهذه هي الصوفية ص : ١٢٨-١٣٠

(٥٩) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب : تفضيل نبينا على جميع الخلائق برقم : ٢٢٧٨

وهذا العلم هو غاية الإلحاد والزندقة. وهذا المفضل من أضل بني آدم وأبعدهم عن الصراط المستقيم... فإن هذا الكلام من أعظم الكلام ضلالا عند أهل العلم والإيمان والله أعلم. وقد تبين أن في هذا الكلام من الكفر والتنقيص بالرسل والاستخفاف بهم والغض منهم؛ بل والكفر بهم وبما جاءوا به ما لا يخفى على مؤمن)[٦٠].

ثالثا: الجنة والنار لدى الصوفية: قال شيخ الصوفية ابن عربي: (وأما أهل النار فمآلهم إلى النعيم ولكن في النار إذ لا لصورة النار بعد انتهاء مدة العذاب أن تكون بردا وسلاما على من فيها)[٦١] وقال:

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده وما لوعيد الحق عين تعاين
وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم على لذة فيها نعيم يباين
نعيم جنان الخلد فالأمر واحد وبينهما عند التجلي تباين
يسمَّى عذابا من عذوبة طعمه فذاك له كالقشر والقشر صائن[٦٢]

آدم عليه السلام في الجنة، فقال: (فلا عذاب ولا عقاب إلا نعيم وأمان، بمشاهدة العيان[٦٣]، وترنم أطيار بألحان، على المقاصير والأفنان، ولثم الحور والولدان، وعدم مالك وبقي رضوان، وصارت جهنم تتنعم في حظائر الجنان، واتضح سر إبليس فيهم، فإذا هو ومن سُجِدَ له سِيَّان)[٦٤].

وهذا كله إلحاد وزندقة وكفر وضلال، فإن النار التي يدخل فيها إبليس وجنوده هي نار حامية ليس لها انطفاء ولا خمود، وليس لها فناء ولا زوال بل هي دائمة باقية بإبقاء الله تعالى لها.

وقال تعالى﴿ السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت

---

(٦٠) مجموع الفتاوى (٢/٢٤٠)

(٦١) فصوص الحكم (١/١٦٩)

(٦٢) فصوص الحكم (١/٩٤)

(٦٣) الذين يرون ربهم يوم القيامة هم المؤمنون فقط، وأما إبليس وجنوده فهم كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ﴾ [المطففين: ١٥-١٧]. انظر للتفصيل: كتاب صفات الله عز وجل للشيخ صالح المسند (ص: ١٣٦-١٤٠).

(٦٤) هذا ما زعمه ابن عربي في كتابه: الفتوحات المكية (٢/٢٠٠ برقم: ٢٨٦)؛ وانظر ما ذكره عنه الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه: فضائح الصوفية (ص: ٥٢).

الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم

القمر الرحمن الواقعة ﴾ [النساء: ١٦٨ – ١٦٩] وقال تعالى: ﴿الرحيم بسم الله الرحمن

الرحيم قال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم أعوذ بالله﴾ [الأحزاب: ٦٤ – ٦٥] وقال تعالى:

﴿التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات

النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين بسم الله الرحمن الرحيم بسم

الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿بسم الله﴾ [الحشر: ١٦ – ١٧].

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. ثم ينادي: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة خلود، فلا موت. ويا أهل النار خلود، فلا موت...» الحديث (٦٥)، والنصوص في هذا المعنى كثيرة.

ولا يمكن أن يكون الكافر مثل المسلم في أمن ونعيم، فإن ذلك مخالف لعدل الله وحكمته، قال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿

﴿بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم بسم الله الرحمن الرحيم بسم

الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله﴾ [ص: ٢٧ – ٢٨]

فلا يمكن أن يكون المنعم في الجنة بأنواع النعيم كالمعذب في النار بأنواع العذاب. وهذا الذي دلت عليه النصوص الشرعية، وهو الذي يليق بعدل الله وحكمته، وهو الذي يقتضيه العقل السليم والفطرة المستقيمة.

رابعا: معنى الغوث والقطب والأبدال والأوتاد لدى المتصوفة:

القطب والغوث: إن اسم القطب وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في العالم، ويقال الغوث، وهو العبد الجامع المنعوت بالتخلق والتحقق بمعاني جميع الأسماء الإلهية بحكم الخلافة، وهو مرآة الحق تعالى ومجلى النعوت المقدسة ومحل المظاهر الإلهية وصاحب الوقت وعين

---

(٦٥) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، سورة مريم، [الآية: ٣٩]رقم: ٤٤٥٦)؛ ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها رقم: ٢٨٤٩).

الزمان وصاحب علم سر القدر، وله علم دهر الدهور، ومن شأنه أن يكون الغالب عليه الخفاء، ولم يخل منه زمان منذ أن خلق الله البشرية [٦٦].

وقال التيجاني: (إن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مكلفا في جميع الوجود جملة وتفصيلا، حيثما كان الرب إلها كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من له عليه ألوهية لله تعالى، فلا يصل إلى الخلق شيء كائنا ما كان من الحق إلا بحكم القطب...)[٦٧].

فالمتصوفة جعلوا القطب مساويا لله تعالى في أسمائه وصفاته وجميع تصرفاته في الكون، وجعلوه نائبا عنه في هذه الدنيا، فيزعمون أن تصريف هذا الكون بيد القطب، وأنه لا يكون شيء في هذا الكون إلا عن طريق القطب الصوفي المزعوم، والذي لا وجود له في الحقيقة، وإنما وجوده في خيال المتصوفة فقط، وليس له أصل في الكتاب والسنة.

الأبدال: يعتقد المتصوفة أن هناك سبعة رجال يقال لهم الأبدال، يحفظون القارات السبعة التي يعيش فيها هذا العالم، وكل بدل منهم مكلف بإقليم يحفظه من كل سوء ويحميه.

قال ابن عربي: (اعلم أن ثم رجالا سبعة يقال لهم الأبدال، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، لكل بدل إقليم)[٦٨].

ويزعمون أن البدل إذا سافر من موضعه ترك جسدا على صورته، يحيى بحياته ويظهر بأعمال أصله فلا يعرف أحد عن غيابه ولا يشعر بفقدانه من موضعه[٦٩].

الأوتاد: يعتقد المتصوفة أن هناك أربعة رجال يقال لهم الأوتاد، وهم الذين يحفظون هذا الكون الذي نعيش فيه، وكل واحد منهم على جهة من جهاته الأربع، وأن كل واحد منهم يشفع يوم القيامة لمن دخل عليه إبليس من جهته.

قال ابن عربي: (لكل جهة وتد يشفع يوم القيامة فيمن دخل عليه إبليس من جهته)[٧٠].

وجاء في معجم المصطلحات الصوفية: (الأوتاد هم أربعة رجال منازلهم على منازل الجهات الأربع من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة، ويحفظ الله بهم تلك

---

(٦٦) انظر: الفتوحات المكية لابن عربي (٢/٧٩و٨٢ و٣/٢٤٤).

(٦٧) جواهر المعاني (٢/٨٠).

(٦٨) الفتوحات المكية لابن عربي (٢/٣٧٦).

(٦٩) معجم المصطلحات الصوفية للدكتور عبد المنعم الحفني (ص: ٩٢).

(٧٠)الفتوحات المكية لابن عربي (٢/٤٠١).

الجهات لكونهم مجال نظره تعالى)[٧١].

الديوان الصوفي: هو اجتماع يومي يتم بين الأولياء، من مشارق الأرض ومغاربها، الأحياء منهم والأموات، كلهم يحضرون هذا الاجتماع، يحضرون بأرواحهم، لا بأجسادهم، يأتون إليه طائرين بأرواحهم، فإذا اقتربوا وصاروا على مسافة منه نزلوا على الأرض، ومشوا إلى الديوان على أرجلهم. وينعقد هذا الاجتماع في مكة في غار حراء كل ليلة في الثلث الأخير منها. يتباحثون فيه عن قضاء الله تعالى في اليوم التالي والليلة التي تليه؛ لأن أصحاب هذا الديوان لهم حق التصرف في العوالم كلها العلوية والسفلية، فهم يتصرفون فيه وفي أهله وفي خواطرهم وما تهجس به ضمائرهم، فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء في هذا الكون إلا بإذن أهل هذا الديوان.

وفي ليلة القدر يكون اجتماع سنوي كبير يحضره الملائكة المقربون والأنبياء السابقون والنبي ﷺ وأمهات المؤمنين وكبار الصحابة وغيرهم، وتكون الاجتماعات كلها باللغة السريانية، وتارة يتكلمون فيها بالعربية لحضور النبي ﷺ تأدبا معه[٧٢].

وهذه جملة يسيرة من أساطير المتصوفة وخرافاتهم وضلالاتهم، وأسأل الله تعالى أن يحفظني وإياكم من كل شر وسوء وفتنة، وأن يختم لي ولكم بالصالحات، فإنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثامنا: موقف الصوفية من الخوارق والكرامات:

الناس في باب الكرامات طرفان ووسط: فهناك من ينكر إنكارا صريحا وقوع الكرامة والخوارق للأولياء، وهم المعتزلة ومن نحا نحوهم، وهناك من يقول بالكرامة المعنوية دون الحسية[٧٣]، هذا في الحقيقة يندرج في قسم الإنكار، وهناك من يبالغ في إثباتها ويجعل من الكرامة ما ليس بكرامة، بل قد يصدق ويحدث ويأتي فيها بالأباطيل والمناكير والخرافات، وهم المتصوفة، وهناك من يؤمن بها من غير غلو فيها ولا إجحاف، ومن غير إفراط فيها ولا تفريط، بل يقول ويؤمن بها وفق ما جاء في الكتاب والسنة، وهم أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة أهل الإسلام والسنة

---

(٧١) معجم مصطلحات الصوفية (ص: ٢٤).

(٧٢) انظر للتفصيل: الصوفية وطرقها (ص: ٢٣-٢٥) وهذه هي الصوفية (ص: ١٢٧-١٣١).

(٧٣) انظر: مجلة المنار (١١/٩١٧).

والجماعة وقد دل عليها القرآن في غير موضع والأحاديث الصحيحة والآثار **المتواترة** عن الصحابة والتابعين وغيرهم وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم، لكن كثيرا ممن يدعيها أو تدعى له يكون كذابا أو ملبوسا عليه)[٧٤]. والصوفية كثيرا ما يزعمون خوارق وكرامات وهي تكون من باب الحيلة والتلبيس ومن الأمثلة على ذلك:

۞- إن الحلاج بعث رجلا من خاصة أصحابه وأمره أن يذهب بين يديه إلى بلد من بلاد الجبل، وأن يظهر لهم العبادة والصلاح والزهد، فإذا رآهم قد أقبلوا عليه وأحبوه واعتقدوه أظهر لهم أنه قد عمي، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد تكسح، فإذا سعوا في مداواته، قال لهم: يا جماعة الخير، إنه لا ينفعني شيء مما تفعلون، وأنه قد رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول له: إن شفاءك لا يكون إلا على يدي القطب، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني، وصفته كذا وكذا، وقال له الحلاج: إني سأقدم عليك في ذلك الوقت.

فذهب ذلك الرجل إلى تلك البلاد فأقام بها يتعبد ويظهر الصلاح والتنسك ويقرأ القرآن. فأقام مدة على ذلك فاعتقدوه وأحبوه، ثم أظهر لهم أنه قد عمي فمكث حينا على ذلك، ثم أظهر لهم أنه قد زمن، فإذا سعوا في علاجه ومداواته قال لهم: يا جماعة الخير! هذا الذي تفعلونه معي لا ينفعني وأنا قد رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول لي: إن عافيتك وشفاءك إنما هو على يدي القطب، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني، وكانوا أولا يقودونه إلى المسجد، ثم صاروا يحملونه ويكرمونه كان في الوقت الذي ذكر لهم، واتفق هو والحلاج عليه، أقبل الحلاج حتى دخل البلد مختفيا وعليه ثياب صوف بيض، فدخل المسجد ولزم سارية يتعبد فيه لا يلتفت إلى أحد، فعرفه الناس بالصفات التي وصف لهم ذلك العليل، فابتدروا إليه يسلمون عليه ويتمسحون به، ثم جاؤوا إلى ذلك الزمن المتعافى فأخبروه بخبره، فقال: صفوه لي، فوصفوه له فقال: هذا الذي أخبرني عنه رسول الله ﷺ في المنام، وأن شفائي على يديه، اذهبوا بي إليه.

فحملوه حتى وضعوه بين يديه فكلمه فعرفه فقال: يا أبا عبد الله! إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام.

ثم ذكر له رؤياه، فرفع الحلاج يديه فدعا له ثم تفل من ريقه في كفيه ثم مسح بهما على

(٧٤)مختصر الفتاوي المصرية (٢/ ٦٣).

عينيه ففتحهما كأن لم يكن بهما داء قط فأبصر، ثم أخذ من ريقه فمسح على رجليه فقام من ساعته فمشى كأنه لم يكن به شيء والناس حضور، وأمراء تلك البلاد وكبراؤهم عنده، فضج الناس ضجة عظيمة، وكبروا الله وسبحوه وعظموا الحلاج تعظيما زائدا على ما أظهر لهم من الباطل والزور.

ثم أقام عندهم مدة يكرمونه ويعظمونه ويودون لو طلب منهم ما عساه أن يطلب من أموالهم.

فلما أراد الخروج عنهم أرادوا أن يجمعوا له مالا كثيرا فقال: أما أنا فلا حاجة لي بالدنيا، وإنما وصلنا إلى ما وصلنا إليه بترك الدنيا، ولعل صاحبكم هذا أن يكون له إخوان وأصحاب من الأبدال الذين يجاهدون بثغر طرسوس، ويحجون ويتصدقون، محتاجين إلى ما يعينهم على ذلك، فقال ذلك الرجل المتزامن المتعافى.

صدق الشيخ، قد رد الله علي بصري ومن الله علي بالعافية، لأجعلن بقية عمري في الجهاد في سبيل الله، والحج إلى بيت الله مع إخواننا الابدال والصالحين الذين نعرفهم، ثم حثهم على إعطائه من المال ما طابت به أنفسهم.

ثم إن الحلاج خرج عنهم ومكث ذلك الرجل بين أظهرهم مدة إلى أن جمعوا له مالا كثيرا ألوفا من الذهب والفضة، فلما اجتمع له ما أراد ودعهم وخرج عنهم فذهب إلى الحلاج فاقتسما ذلك المال[٧٥].

۞- ومن ذلك أن الحلاج كان يدفن شيئا من الخبز والشواء والحلوى في موضع من البرية، ويطلع بعض أصحابه على ذلك، فاذا أصبح قال لأصحابه: إن رأيتم أن نخرج على وجه السياحة فيقوم ويمشي والناس معه، فاذا جاءوا إلى ذلك المكان قال له صاحبه الذي أطلعه على ذلك: نشتهي الآن كذا وكذا، فيتركهم الحلاج وينزوي عنهم إلى ذلك المكان فيصلي ركعتين و يأتيهم بذلك[٧٦].

۞- كانت البطائحية يزعمون أن لهم أحوالا يدخلون بها النار، وأن أهل الشريعة لا

---

(٧٥) انظر: تاريخ بغداد (٨/٧٠٠-٧٠١، ذكر بعض ما حكي عن الحلاج من الحيل، ترجمة الحسين بن منصور الحلاج برقم: ٤١٨٥)، والبداية والنهاية (١٤/٨٢٦-٨٢٧، ذكر أشياء من حيل الحلاج).

(٧٦) انظر: تلبيس إبليس (ص: ٣٤٠).

يقدرون على ذلك، وأن هذه الأحوال التي يعجز عنها أهل الشرع ليس لهم أن يعترضوا علينا، بل يسلم إلينا ما نحن عليه – سواء وافق الشرع أو خالفه — قال شيخ الإسلام: (وأنا قد استخرت الله سبحانه أنهم إن دخلوا النار أدخل أنا وهم، ومن احترق منا ومنهم فعليه لعنة الله وكان مغلوبا، وذلك بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار)؛ فقال أحد الحاضرين: لم ذاك؟ فقال: لأنهم يطلون جسومهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج وحجر الطلق وغير ذلك من الحيل المعروفة لهم وأنا لا أطلي جلدي بشيء فإذا اغتسلت أنا وهم بالخل والماء الحار بطلت الحيلة وظهر الحق، وقال شيخ الإسلام مخاطبا لهم: (أنا أخاطب كل أحمدي(٧٧) من مشرق الأرض إلى مغربها أي شيء فعلوه في النار فأنا أصنع مثل ما تصنعون، ومن احترق فهو مغلوب؛ ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار)، فلما علم أولئك المحتالون أنهم افتضحوا طلبوا الصفح وأظهروا التوبة(٧٨).

۞- قال الدباغ: (كل ما أعطيه سليمان في ملكه، وما سخر لداود، وما أكرم به عيسى، أعطاه الله وزيادة لأهل التصرف من أمة النبي، ومكنهم من القدرة على إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى) (٧٩)، ولا شك أن الأنبياء أفضل من الأولياء، وهذا أمر متفق عليه عند أهل السنة والجماعة، ولذلك لا يقع للولي ما يلزم منه المساواة أو المشاركة في شيء من خصائص النبوة(٨٠)؛ فضلا عن خصائص الربوبية كما يدعيه كثير من الصوفية.

۞- قال الدباغ: (إن الولي صاحب التصرف، يمد يده إلى جيب من شاء، فيأخذ منه ما شاء من الدراهم، وذو الجيب لا يشعر) (٨١). وهذه في الحقيقة تعتبر من السرقة، ولا تعد من الكرامة البتة، ولو عد نحو هذا من الكرامة فالمحتالون والسراق الذين يغشون الناس ويخدعونهم ويسرقون منهم أموالهم مع خفة اليد ولا يشعر به صاحبها يكونون من كبار الأولياء حسب قول الدباغ هذا، وليعلم أن الكرامة لا تكون بمخالفة الشرع إلا أن يكون ذلك من باب الامتحان،

---

(٧٧) نسبة إلى أحمد الرفاعي وهو الذي تنسب إليه الرفاعية.

(٧٨) انظر للتفصيل: مجموع الفتاوى (١١/٤٥٨-٤٧٥).

(٧٩) الإبريز للدباغ (٢/١٢) نقلا من كتاب: هذه هي الصوفية (ص: ١٦٥).

(٨٠) انظر: منهاج السنة النبوية (٨/١٧٥-١٧٦)، والبداية والنهاية (٨/٥٨٨).

(٨١) الإبريز للدباغ (٢/١٢) نقلا من كتاب: هذه هي الصوفية (ص: ١٦٥).

فيكون من الابتلاء والاستدراج، وليس من الكرامة، قال ابن الجوزي: (والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعا إلا أن أظهر له ذلك على سبيل الامتحان)[٨٢]. وقال الحافظ ابن حجر: (يختبر حال من وقع له ذلك، فان كان متمسكا بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته، ومن لا فلا، وبالله التوفيق)[٨٣].

۞- ذكر الشاذلية أن صاحب الطريقة الشاذلية أبا الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار المغربي الشاذلي (ت ٦٥٦هـ) أثناء سفره إلى الإسكندرية مكث بتونس مدة، واشتهر أمره وذاع صيته، والتف حوله خلق كثير فحسده فقيه تونس ورئيس قضاتها ابن البراء، فوشاه إلى السلطان، ودسّ له عنده، وتكلّم في نسبه ولكن السلطان لم يمسه بسوء، ووقره في قلبه واحترمه؛ ولكن منعه من الخروج، وما أن منعه إلاّ وماتت جاريته في ذاك الحين، التي أحبها فملكت عليه جميع أقطاره، ثم التهبت النار في البيت فلم يشعروا حتى احترق كل ما في البيت من الفرش والثياب وغير ذلك من الذخائر، فعلم السلطان أنه أصيب من قبل هذا الوليّ.

ولكن من الغرائب أنه لم يصب ابن البراء بشيء مع قولهم بأنه بقي واستمر على عدائه للشاذلي ومخالفته له، بل ذكروا أن الشاذلي كان يسلّم على ابن البراء ولكن ابن البراء لم يكن يردّ السلام عليه، وكان يطعن في نسبه، مع ذلك ابن البراء صاحب العداوة الشديدة لم يصب بشيء، وأصيب السلطان مع احترامه له في القلب بمجرد معنه من الخروج، فأنى للمختلقين العقل؟ ومن أين للقصاصين والمسامرين الوضاعين العقل والنظر والفكر السليم، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً.

تاسعا: انتشار الطرق الصوفية في العصر الحاضر وأماكن وجودهم: الصوفية بابُ شرٍّ عظيمٍ دخل على الأمة الإسلامية منذ القرون المتقدمة، وقلما يخلو بلد إسلامي من انتشار الطرق الصوفية بمعتقداتها وطقوسها الفاسدة المنحرفة؛ بل الطرق الصوفية منتشرة في أكثر بقاع العالم، ولا سيما في الدول الإفريقية والآسيوية، وخاصة في مصر والسودان والجزائر والسنغال والهند وباكستان وبنغلاديش وأفغانستان وغيرها من دول العالم.

عاشرا: علاقة الطرق الصوفية بالقوى الاستعمارية: إن التصوف ليس عبارة عن الغلو

---

(٨٢) تلبيس إبليس (ص: ٣٧٦).

(٨٣) فتح الباري (٧/ ٣٨٣).

والمغالاة في الدين فحسب، بل هو مؤامرة حيكت، وأحكم نسيجها ضد الإسلام والمسلمين شارك في تخطيطها وتشكيلها وبث سمومها خليط من الناس وعديد من الفئات لأغراضهم وأهدافهم[١]، ولذلك نرى الاستعمار دائما يشجع الطرق الصوفية ويقف بجانبها ويعمل على نشرها وترويجها، وما ذلك إلا لإدراكهم بأن هذه الطرق هي من أهم الأشياء التي يمكن عن طريقها تقويض الأمة الإسلامية، وتخديرها وتحويلها إلى أمة هزيلة لا تحرك ساكنا، ويسهل عليهم النفوذ من خلالها والسيطرة عليها، ومن أبرز الحروب التي واجهها المسلمون بعد انتشار الطرق الصوفية هي الغزو التتري والحروب الصليبية، ولكن كان موقف الصوفية من هذه الحروب هو السكوت، فقد سقط بيت المقدس في يد الصليبيين عام ٤٩٢هـ، وأبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) الزعيم الكبير للصوفية كان على قيد الحياة، وعاش بعد ذلك اثني عشر عاما، ولكن هذا الحدث الجلل لم يحرك منه شعورا ولم يجر قلمه بشيء عنه، وابن عربي وابن فارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب الصليبية ولكن لم يسمع عن واحد منهما أنه شارك في قتال أو دعا إلى قتال أو سجلا في شعرهما أو نثرهما آهة حسرة على الفواجع التي نزلت بالمسلمين[١]، وحين أغار الفرنجة على المنصورة قبل منتصف القرن السابع الهجري اجتمع زعماء الصوفية لقراءة رسالة القشيري والمناقشة في كرامات الأولياء[١]، وذكر المؤرخون عن الرفاعية أنهم كانوا يترددون على التتار، ويأوون عندهم، ويقبلون منهم الهدايا والأعطيات، فقد ذكر الحافظ ابن كثير أن الشيخ صالح الأحمدي – وهو من أكابر مشايخ الطريقة الرفاعية في وقته- كان يأوي إلى نائب التتار "قطلو شاه" ويقيم عنده، وكان هذا الأخير يكرمه جدا، وهو الذي كان قد قال لشيخ الإسلام ابن تيمية أمام الأمير: (نحن أحوالنا إنما تنفق عند التتر، ليست تنفق عند الشرع) [٨٤]، وليس الزيارة والسكوت وقبول الهدايا فحسب؛ بل تواطؤا معهم ومهدوا لهم، وساعدوهم بكل ما أمكنهم، ومما يدل على ذلك ما يلي:

– في عام ١٨٧٠م تزوجت "أوريلي بيكار" الفرنسية شيخ التجانية المدعو سيدي أحمد، ولما توفي تزوجت أخاه المدعو سيدي علي فأصبحت مقدسة عند التجانيين، وأطلقوا عليها

---

[١] انظر: دراسات في التصوف للشيخ إحسان إلهي (ص: ١٣١).

[١] انظر: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (٣٠٩/٢).

[١] انظر: هذه هي الصوفية (ص: ٢٢٤).

(٨٤) البداية والنهاية (٥٢/١٨).

لقب "زوجة السيدين". وكانوا يتيممون بالتراب الذي تمشي عليه مع أنها بقيت كاثوليكية على دينها القديم، وقد أنعمت فرنسا عليها بوسام الشرق، وقالت الحكومة الفرنسية في أسباب منح هذا الوسام لأن هذه السيدة قد أدارت الزاوية التجانية الكبرى إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى، ولأنها ساقت إلينا جنوداً مجندة من أحباب الطريقة التجانية ومريديها يجاهدون في سبيل فرنسا صفا كأنهم بنيان مرصوص[٢]. فكان أتباع الطريقة التجانية وشيوخها من أكثر العملاء نفعاً لفرنسا في الجزائر وبعض الأقطار الأفريقية.

– ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا للقيروان في تونس: أن رجلاً فرنسياً دخل في الإسلام وسمى نفسه سيد أحمد الهادي، واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجة عالية، وعين إماماً لمسجد كبير في القيروان، فلما اقترب الجنود الفرنساويون من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها، وجاؤوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدون فيه، فدخل (سيد أحمد) الضريح، ثم خرج مهولاً بما سينالهم من المصائب، وقال لهم: إن الشيخ ينصحكم بالتسليم؛ لأن وقوع البلاد صار محتماً، فاتبع القوم البسطاء قوله ولم يدافعوا عن مدينة القيروان أقل دفاع، بل دخلها الفرنساويون آمنين في ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٨١م[١].

– وقال محمد الكبير صاحب السجادة التجانية الكبرى وخليفة شيخهم الأكبر أحمد التجاني مؤسس الطريقة في خطبة ألقاها أمام رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في مدينة "عين ماضي" بتاريخ ١٣٥٠/١٢/٢٨هـ: (إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا ماديا ومعنويا وسياسيا، ولهذا فإني أقول لا على سبيل المن والافتخار ولكن على سبيل الاحتساب والشرف بالقيام بالواجب، إن أجدادي قد أحسنوا صنعا في انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا وقبل أن تحتل جيوشها الكرام ديارنا)[٨٥].

– وفي سنة ١٩٠٦– ١٩٠٧م أقام جاسوس الحاكم الفرنسي للجزائر في زاوية الطريقة التجانية لأداء مهمة سياسية، وكتب له شيخ الطريقة رسائل توصية إلى أتباعه[٨٦].

– وفي وثيقة سرية رفعها سفير بريطانيا في القسطنطينية إلى وزير خارجيته سنة ١٩١٠م

---

[٢] انظر: التصوف بين الحق والخلق، محمد فهر شقفة (ص ٢١٢-٢١٣).

[١] انظر: هذه هي الصوفية (ص: ٢٢٣-٢٢٤).

(٨٥) انظر: التصوف بين الحق والخلق، محمد فهر شقفة، (ص: ٢١٢-٢١٣).

(٨٦) انظر: الطرق الصوفية، د. عبد الله بن دجين السهلي (ص: ١٦٨).

جاء فيها: (أظهر أبناء الطائفة البكتاشية المنشقون عن أهل السنة والجماعة الذين يبلغ عددهم مليون شخصاً يسكن معظمهم في جنوب ألبانيا ومقدونيا ويمارسون طقوساً دينية سرية تشبه طقوس الماسونية، ولهم تنظيم يشبه تنظيمها، أظهروا رغبتهم في الانتماء إلى الماسونية وكان هؤلاء البكتاشيون مدفوعين بروح الماسونية الحقة)(٨٧).

– قال الرئيس الفرنسي موريس دولا فوس: (لقد اضطر حكامنا الإداريون وجنودنا في أفريقيا إلى تنشيط دعوة الطرق الدينية الإسلامية؛ لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية، وأكثر تفهما وانتظاما من الطرق الوثنية)(٨٨).

– ولما دخلت القوات الأمريكية والبريطانية إلى البلاد الأفغانية كان أول ما قاموا به أن فتحوا المزارات والأضرحة، وسمحوا للموالد أن تقام، وروجوا لها، قال أحد شيوخ الطرق: (إن حركة طالبان المتعصبة أغلقت المزارات، وأوقفت الاحتفالات، ومنعتنا من حلقات الذكر والإنشاد طوال فترة حكمها، رغم أنها لم تتوقف حتى في وجود الحكم الشيوعي والاحتلال الروسي، وأنا سعيد جدا بسقوط تلك الحركة المتعصبة، وأمريكا سمحت لنا بممارسة طقوسنا وإقامة موالدنا، ونحن نشكر لها ذلك وبشدة)، هكذا قال، وهكذا فعلت أمريكا، وهي لم تفعل ذلك إلا لإحياء البدعة ومحاربة السنة وتشويه صورة الإسلام(٨٩).

قال الشيخ محمد حامد الفقي –مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر–: (إن هذه الطرق الصوفية المنتشرة في الناس اليوم تروِّج الكفر والوثنية والدجل، وتعمل جاهدة لتأليه الدجالين، واعتصار دماء الجماهير؛ لتتضخم جيوب شيوخها أولياء الشيطان، وتنشر في الناس ظلمات الجاهلية الأولى، وتحارب الله ورسوله، وتهيئ الأمة الإسلامية بهذه الجاهلية العمياء، وهذه التقاليد الخرافية، وهذه الغباوات البهيمية؛ لتكون لقمة سهلة الهضم للأعداء، وهذه الطرق الصوفية هي المعول الذي هدم به اليهود والفرس صرح الإسلام، هذه الطرق الصوفية هي اليد الأثيمة التي مزقت رقعة الدولة الإسلامية، وشيوخ الطرق الصوفية هم الذين يمكنون المستعمرين في مراكش وتونس والجزائر والهند والسودان ومصر وفي كل مكان من البلاد

(٨٧) مظاهر الغلو عند الصوفية حقائق وملابسات، د. محمد بن ناصر الشثري (ص: ٨١).

(٨٨) الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء، تقديم: القليبي (ص: ٥٣).

(٨٩) انظر للتفصيل: العلاقة بين الصوفية والإمامية (ص: ٤٩٤).

الإسلامية، وهم سماسرة المستعمر وخدَمَه المخلصون في خدمته لإذلال المسلمين واستغلالهم، لقد كنت واحدا منهم، وعرفت دخائل أمورهم وخبايا زواياهم وسيء مكرهم وخبث مقصدهم، فالحمد لله الذي أنقذني وهداني للإسلام الحق)[٩٠].

فهذا كله يدل على أن أتباع الطرق الصوفية وشيوخها كانوا عونا للاستعمار الغربي، وأنه كان لهم دور كبير في تقوية الاستعمار وبسط نفوذه وتمكنه واحتلاله لبلاد المسلمين، ومن أجل ذلك يجب ألا نستغرب إذا رأينا المستعمرين يغدقون على الصوفية الجاه والمال، فرب مفوض سام لا يرضى أن يستقبل ذوي القيمة الحقيقية من وجوه البلاد، ثم نراه يذهب لزيارة حلقة من حلقات الذكر، ويقضي في زيارتها والتردد إليها ساعات وساعات، وما ذلك إلا لعلمهم بأن هذه الطرق وهذا التصوف بهذا الشكل يقتل عنصر المقاومة في الأمم ويجعلها أمة ضعيفة يسهل اصطيادها والسيطرة عليها.

الحادي عشر: الطرق الصوفية:

أ-المراد بالطرق الصوفية: تطلق الطريقة في اللغة على السيرة، وطريقة الرجل: مذهبه، والطريقة: الحال، يقال: هو على طريقة حسنة وطريقة سيئة، والطريقة جمعها طرائق وطرق.

والمراد بالطرق هنا: الطرق الصوفية، وهي عبارة عن جملة من القواعد والمراسيم والتنظيمات للجماعات الصوفية يفرضها الشيوخ على مريديهم، وكل طريقة يكون لها شيخ، وبيعة، وأوراد وأذكار خاصة، ومواسم معينة، وزي خاص، وأضرحة، وزوايا يجتمعون فيها، وتعاليم كل طريقة ترجع إلى شيخها الخاص.

ب- ظهور الطرق الصوفية: إن الطرق الصوفية لم تظهر بصورتها الحقيقية إلا بعد القرن الخامس الهجري، ولذلك الذين صنفوا في التصوف قبل ذلك لم يتعرضوا لها.

ج- كثرة الطرق الصوفية ونظرة إجمالية على مجموعة منها: الطرق الصوفية كثيرة، وفيما يلي إلقاء نظرة إجمالية على بعضها:

أولا: الطريقة القادرية: الطريقة القادرية من الطرق الصوفية المشهورة، وفيما يلي إلقاء نظرة إجمالية عليها، وبالله التوفيق[٩١].

---

(٩٠) من كتاب: جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، بواسطة كتاب: كشف الستار عما تحمله بعض الدعوات من أخطار (ص: ٥٥-٥٦).

(٩١) انظر للتفصيل: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام = الدرر السنية (٣٣٢/٨-٣٥٥).

أ- التعريف بها: تنتسب هذه الطريقة إلى عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله الجيلي ثم البغدادي (ت ٥٦١هـ)، والجيلي أو الجيلاني نسبة إلى جيل، وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان ويقال لها جيلان وكيلان، ولد بكيلان، ووفد بغداد شاباً سنة ٤٨٨هـ، وتفقه على عدد من مشايخها، وكان على مذهب الإمام أحمد في صفات الله عز وجل، وبغض الكلام وأهله، وفي القدر، وفي الفروع، خلف شيخه أبا سعيد المخَرِّمي على مدرسته، ودرَّس فيها وأقام بها.

ب- الطوام التي نسبت إليه: لقد افتُرِي على الشيخ عبد القادر الجيلاني افتراء عظيما، وكُذِب عليه كثيرا، ونسب إليه من الكرامات والدعاوى الكاذبات ما لا يقبله عقل ولا دين، منها: ما نسبه صوفية المشرق من أن الشيخ عبد القادر الجيلاني متصرف في الأكوان، وما نسب إليه أنه قال: "قدمي هذه على رقبة كل ولي"!!! بل لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أنه قال ذلك بأمر رسول الله ﷺ، ووصفهم إياه أنه هو القطب والغوث، وأنه هو النائب عن الله في إدارة الكون، وأنه إذا كُتِبَ اسمه في كفن الميت لن تمسه النار...إلى غير ذلك من الأكاذيب والترهات التي نسبوها إليه.

ج- مصدر هذه الطوام: كان الشيخ عبد القادر الجيلاني يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد، وله مناقب وكرامات كثيرة، ولكن جمع أبو الحسن الشطنوفي المصري في أخبار الشيخ عبد القادر ومناقبه ثلاث مجلدات، وكَتَبَ فيها الطم والرم، وما هب ودب، من غير خطام ولا زمام ولا تحرير ولا اهتمام، وفيه الرواية عن المجهولين، وفيه الشطح، والطامات، والدعاوى، والكلام الباطل، ما لا يحصى، ولا يليق نسبة مثل ذلك إلى الشيخ عبدالقادر، ومصيبة الصوفية الكبرى، وداهيتهم العظمى أنهم لا يميزون بين الصحيح والموضوع، ولا بين الباطل والحق، مع أن الله عز وجل قد ميز هذه الأمة على غيرها من الأمم بالأسانيد العالية، فلا يقبلون خبراً إلا إذا كان مسنوداً، ورجاله ثقات عدول، ولذلك قال أهل العلم: إن هذا العلم دين فانظروا ممن تأخذون دينكم،؛ فالعلم لا يؤخذ من أي كاتب ولا كتاب، ولا حاطب ليل لا يميز بين صحيح وسقيم، ولا صاحب بدعة وهوى.

د- أهم معتقداتها: أصول الطريقة القادرية ومعتقداتها متوافقة في كثير من تفاصيلها مع الطرق الصوفية الأخرى؛ ومن أهم ما عرف به القادرية القول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود، ويوجد عندهم تلوث شيعي في بعض أورادهم وأذكارهم؛ فقد جاء في أحد الأوراد عندهم: "نادِ

علياً مظهر العجائب تجده عوناً في النوائب، كل هم وغم سينجلي بنبوتك يا محمد بولايتك يا علي يا علي يا علي"، وتوجد في أدعيتهم تمتمات وطلاسم سحرية وغير ذلك من الطامات.

هـ–انتشارها وأماكن وجودها: تنتشر القادرية في العراق ومصر وتركيا واليمن والصومال والهند والمغرب وغرب السودان وبعض بلدان أفريقيا.

ثانيا: الطريقة الشاذلية: الطريقة الشاذلية من الطرق الصوفية المشهورة، وفيما يلي إلقاء نظرة إجمالية عليها، وبالله التوفيق[٩٢].

أ– التعريف بها: تنتسب هذه الطريقة إلى أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار المغربي الشاذلي (ت ٦٥٦هـ)،

تتلمذ أبو الحسن الشاذلي في صغره على أبي محمد عبد السلام بن بشيش، في المغرب، ثم رحل إلى تونس، وإلى جبل زغوان، حيث اعتكف للعبادة والرياضة، ثم رحل إلى مصر، وأقام بالإسكندرية، حيث تزوج وأنجب أولاده، وصار له في الإسكندرية أتباع ومريدون، وانتشرت طريقته في مصر بعد ذلك، وانتشر صيته على أنه من أقطاب الصوفية.

ب– من أبرز رجالها: من أبرز مشايخ الطريقة الشاذلية: ١– أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عمر المرسي (ت ٦٨٦هـ)، من أهل الإسكندرية، وأهله من مرسيه بالأندلس، يعد خليفة أبي الحسن الشاذلي، وله مقام كبير ومسجد باسمه في مدينة الإسكندرية.

٢– ياقوت العرش، وهو الذي خلف المرسي على مشيخة الشاذلية، وكان حبشياً. وزعموا أنه إنما سمّى بالعرش؛ لأن قلبه لم يزل تحت العرش، وما في الأرض إلاّ جسده. وقيل: لأنه كان يسمع لأذان حملة العرش إلى غير ذلك من المناقب المشهورة بين الطائفة الشاذلية بمصر وغيرها.

٣– محمد المغربي، ويزعمون عنه بأنه تنبأ بظهوره الشاذلي، فقال: (يظهر بمصر رجل يعرف بمحمد يكون فاتحاً لهذا البيت، ويشتهر في زمانه ويكون له شأن) وغيرهم كثيرون.

ج– أهم معتقداتها: أصول الطريقة الشاذلية ومعتقداتها متوافقة في كثير من تفاصيلها مع الطرق الصوفية الأخرى؛ ومن أهم ما عرف به الشاذلية هي الأوراد البدعية؛ فقد اشتهر عن الشاذلية أوراد عديدة منها حزب البر وحزب البحر والحزب الكبير وغيرها من الأحزاب

(٩٢) انظر للتفصيل: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام = الدرر السنية (٨/٢٦٦–٢٧٩).

والأوراد، اختلقوا لها فضائل ومناقب لم ينزل الله بها من برهان.

د–انتشارها وأماكن وجودها: مركز الشاذلية الأول هو مصر، وبخاصة مدينة الإسكندرية، وطنطا، ودسوق بمحافظة كفر الشيخ، ثم انتشرت في باقي البلاد العربية. وأهم مناطق نشاطها سوريا والمغرب العربي، ولها وجود إلى الآن في ليبيا، وفي السودان في الوقت الحاضر.

ثالثا: الطريقة الرفاعية: الطريقة الرفاعية من الطرق الصوفية المشهورة، وفيما يلي إلقاء نظرة إجمالية عليها، وبالله التوفيق(٩٣).

أ– التعريف بها: تنتسب هذه الطريقة إلى أبي العباس أحمد بن علي الرفاعي المغربي، لأن أباه علي بن أحمد كان قد نزل البطائح من المغرب، ونسبه إلى بني رفاعة قبيلة من العرب، ويوصل أتباعه نسبه إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق، إلى علي بن أبي طالب ﷺ.

ب– نشأتها: ولد الرفاعي سنة ٥١٢هـ، وقيل غير ذلك، ونشأ وتربى في بيت خاله الشيخ منصور البطائحي الذي كان من كبار المتصوفة وصاحب المشيخة في البطائح آنذاك، وبعد وفاته عام ٥٤٠هـ خلفه الرفاعي، وتوفي الرفاعي سنة ٥٧٨هـ، وقيل غير ذلك.

ج– أبرز أعلامها: ثم أعقبه على مشيخة الطريقة أعلام عدة، كان من أشهرهم وأشدهم تأثيرا على الرفاعية رجل اسمه: محمد مهدي الصيادي الرفاعي، ظهر في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، بالغ في مدح نفسه وأسبغ على نفسه من صفات القدسية ما لم يسبقه إليه أحد، وألف في ذلك عدة كتب، كما عمل على زيادة أواصر الصلة بين الرفاعية والإمامية.

د– أهم معتقداتها: يعتقد أتباع الرفاعي في شيخهم بعض خصائص الربوبية والألوهية، مثل: تصريف الكون، وأن الله كلفه النظر في أمر الدواب والحيوانات، ودعوى علم الغيب وإحياء الموتى، وأنه يملك الجنة والنار ونحو ذلك. وهذه كلها من خصائص رب العالمين، ولا يمكن أن يتصف بها مخلوق، فالخالق خالق، والمخلوق مخلوق، ويزعمون أن شيخهم أحمد الرفاعي هو الإمام الثالث عشر من أئمة الهدى من أهل البيت، وفي ذلك إقرار وتسليم لدعوى الشيعة الإمامية الرافضة الاثني عشرية، وهي دعوى باطلة بلا شك، فإن عقيدة النص والوصية عند الشيعة الاثني عشرية عقيدة باطلة، وهي من صنع علماء الرافضة ورواتهم الكذابين(٩٤).

---

(٩٣) انظر للتفصيل: العلاقة بين الصوفية والإمامية (ص: ٣٣–٣٩).

(٩٤) يحسن الرجوع للاستزادة والتفصيل إلى كتابي: عقيدة النص والوصية عند الشيعة الاثني عشرية عرض ونقد، وهو مطبوع من قبل الجمعية العلمية

وقد ذكر الرفاعية أن الله تعالى أبرد النيران لأتباع الرفاعي وأصحاب هذه الطريقة، وأنه تعالى ألان لهم الحديد، وأزال عنهم فاعلية السموم، وأذل لهم السباع والأفاعي ونحو ذلك من الأكاذيب، وهم الذين كان ناظرهم شيخ الإسلام ابن تيمية وبين كذبهم وكشف عن حيلهم ودجلهم.

هـ- أماكن انتشارها: تنتشر الرفاعية في كل من غرب آسيا، ومصر وسورية وتركيا وغيرها.

رابعا: الطريقة النقشبندية: الطريقة النقشبندية من الطرق الصوفية المشهورة، وفيما يلي إلقاء نظرة إجمالية عليها، وبالله التوفيق(٩٥)

أ- التعريف بها: تنتسب هذه الطريقة إلى محمد بهاء الدين شاه نقشبند (ت ٧٩١هـ)، واشتق اسمها منه، ومن ثم عرفت به.

ويزعمون أنه قد لقب بنقشبند لانطباع صورة لفظ الله على ظاهر قلبه من كثرة ذكر الله، وقيل سمي نقشبند، لأن رسول الله ﷺ وضع كفه الشريف على قلب الشيخ محمد بهاء الدين الأويسي نقشبند، فصار نقشا في القلب، ولذلك عرفت طريقته بالنقشبندية.

ب- من أبرز رجالها: ١- الشيخ المجدد أحمد الفاروقي السرهندي، ونسبة إليه تسمى بالمجددية أو الفاروقية. ٢- خالد النقشبندي الملقب بالطيار ذي الجناحين، ونسبة إليه تسمى بالخالدية، وهو الذي نشر هذه الطريقة في بلاد الشام. ٣- محمد ناظم قبرصلي، وقد تلقى مبادئ الطريقة على عدة رجال أهمهم عبد الله فايز الداغستاني، ثم رحل إلى طرابلس، وأنشأ زوايا للطريقة هناك، ثم صار ينتقل بين إسطنبول ولندن، وله أثر سيئ جدا في نشر الخرافة بين المسلمين الإنجليز الجدد وبين المهاجرين الباكستانيين والهنود في لندن.

ج- أهم معتقداتها: أصول الطريقة النقشبندية ومعتقداتها متوافقة في كثير من تفاصيلها مع الطرق الصوفية الأخرى؛ فإن فيها من البدع والشركيات والقول بوحدة الوجود وما يحكونه عن أحوال مشايخهم وخصائصهم وتصرفهم المطلق في ذرات الكون، ما لا يشك معه أحد في أن هذه الطريقة إحدى طرق الصوفية الغلاة، البعيدة عن الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح ومع ذلك يعتقد المنتسبون لهذه الطريقة أن المؤسس الأول لها والواضع لأسسها ومبادئها هو أبو

السعودية لعلوم العقيدة والفرق والأديان والمذاهب.

(٩٥) انظر للتفصيل: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام = الدرر السنية (١٨٩/٨-٢٦٤).

بكر الصديق ﷺ، وزعموا أن الرسول ﷺ قال: (ما صب الله في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر) وهذا في الحقيقة محاذاة لطريق الروافض، والحديث الذي ذكروه موضوع، وقد بين ذلك ابن الجوزي وابن القيم وغيرهما من أهل العلم.

د–انتشارها وأماكن وجودها: يوجد أتباع هذه الطريقة في بلاد بخارى والشام والهند وباكستان وليبيا وبريطانيا وغيرها من دول العالم.

خامسا: الطريقة الختمية: الطريقة الختمية من الطرق الصوفية المشهورة، وفيما يلي إلقاء نظرة إجمالية عليها، وبالله التوفيق(٩٦).

أ– التعريف بها: تنتسب هذه الطريقة إلى محمد عثمان بن محمد أبي بكر بن عبد الله الميرغني المحجوب، ويلقب بـ(الختم)؛ أي: خاتم الأولياء، وعدَّ طريقته خاتمة الطرق، ولذلك عرفت طريقته بالطريقة الختمية.

وأسرة الميرغني بخارية الأصل، نزحت إلى الهند، ثم إلى الحجاز، وتدعي أنها من آل البيت.

ب–نشأتها: ولد محمد عثمان الميرغني (الختم) بالطائف عام ١٢٠٨هـ، وتعلم بمكة، وانخرط في طرق عدة للتصوف، وهي: القادرية، والجنيدية، والنقشبندية، والشاذلية، وطريقة جده الميرغينية، ومن هذه الطرق جميعا استمد تعاليم طريقته الختمية، واتخذ نقشها من خمسة أحرف، وهي (نقش جم)، فالنون نقشبندية والقاف قادرية، والشين شاذلية، والجيم جنيدية، والميم ميرغنية، وادعى أن طريقته خاتمة الطرق.

وأنشأ الختم لطريقته زاوية رئيسة في مكة، وزوايا فرعية في أرجاء الحجاز، وأوفد أبناءه لبعض الأقاليم للدعوة إلى طريقته الجديدة، فلقي ابنه الحسن نجاحا وقبولا في السودان، في حين واجه المؤسس عداء وإنكارا من بعض علماء مكة وأشرافها، فعاد إلى الطائف، وبها توفي سنة ١٢٦٨هـ، ودفن في مقبرة المعلا بمكة المكرمة.

ج– أهم معتقداتها: الختمية طائفة صوفية، تتمسك بأفكارها ومعتقداتها، فقد تبنى أتباعها فكرة وحدة الوجود، وقالوا بفكرة النور المحمدي والحقيقة المحمدية، ولهم خلوة للعبادة يطلبون فيها من المريد أن يطلب المدد من الرسول ﷺ وجبريل عليه السلام ومشايخ الطريقة.

وهي تتبنى فكر الشيعة حول ولاية آل البيت، وارتباطهم بقضية الإمامة واستحقاقهم لها،

---

(٩٦) انظر للتفصيل: العلاقة بين الصوفية والإمامية (ص: ٤٣–٤٦).

وقد وقع بعض الختمية المعاصرين فيما وقع فيه الشيعة من تجريح للصحابة واتهامهم بأنهم كتموا بعض الأحاديث الدالة على ولاية علي ﷺ، ولكنهم يثبتون ولاية الخلفاء الراشدين، وقد اتجه بعض كتاب الختمية إلى تمجيد الجمهورية الإسلامية في إيران، وبالأخص أبرز رموزها كالخميني، ويسعون للتقارب مع الإمامية ومناصرتهم والدعوة لهم.

د– أماكن انتشارها: بدأت هذه الطريقة من الطائف ومكة المكرمة، وأرست لها قواعد في جنوب الجزيرة العربية وغربها، كما عبرت إلى السودان ومصر، وتتركز قوتها من حيث الأتباع والنفوذ الآن في السودان، لا سيما في شمال السودان وشرقه، وأطراف إريتريا المتاخمة للسودان ومصر.

رابعا: الأحباش:

أ– التعريف: إنها طائفة ضالة تنسب إلى عبد الله بن محمد الحبشي، ظهرت حديثاً في لبنان، تنتمي إلى الإسلام ظاهراً وتهدم عراه باطناً، مستغلة ما خلّفته الحروب الأهلية اللبنانية من الجهل والفقر والدعوة إلى إحياء مناهج أهل الكلام والصوفية والباطنية بهدف إفساد العقيدة وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية.

ب– التأسيس وأبرز الشخصيات:

١– عبد الله الهرري الحبشي: وهو عبد الله بن محمد الشيبي العبدري نسباً، الهرري موطناً، نسبة إلى مدينة هرر بالحبشة، فيها ولد لقبيلة تدعى الشيباني نسبة إلى بني شيبة من القبائل العربية. ودرس في باديتها العلوم الابتدائية من الفقه الشافعي واللغة العربية وغيرها، ودخل في البداية في الطريقة التيجانية ثم تحول إلى الطريقة الرفاعية، وأتى إلى سوريا ثم إلى لبنان من بلاد الحبشة في أفريقيا عام ١٩٦٩م. ومنذ أن أتى لبنان وهو يعمل على بث الأحقاد والضغائن ونشر الفتن كما فعل في بلاده من قبل، فقد ذكروا عنه بأنه أثار الفتن ضد المسلمين، وتعاون مع حاكم إندراجي صهر هيلاسيلاسي ضد الجمعيات الإسلامية لتحفيظ القرآن بمدينة هرر سنة ١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٠م فيما عرف بفتنة بلاد كُلُب فصدر الحكم على مدير المدرسة إبراهيم حسن بالسجن ثلاثاً وعشرين سنة مع النفي حيث قضى نحبه في مقاطعة جوري بعد نفيه إليها. وبسبب تعاون عبد الله الهرري مع هيلاسيلاسي تم تسليم الدعاة والمشايخ إليه وإذلالهم حتى فر الكثيرون إلى مصر والسعودية، ولذلك أطلق عليه الناس هناك صفة (الفتّان) أو (شيخ الفتنة).

٢– نزار الحلبي: خليفة الحبشي ورئيس جمعية المشاريع الإسلامية، ويطلقون عليه لقب

(سماحة الشيخ) حيث يعدونه لمنصب دار الفتوى إذ كانوا يكتبون على جدران الطرق (لا للمفتي حسن خالد الكافر، نعم للمفتي نزار الحلبي) وقد قتل مؤخراً.

وكذلك لديهم العديد من الشخصيات العامة مثل النائب البرلماني عدنان الطرابلسي، ومرشحهم الآخر طه ناجي الذي حصل على ١٧٠٠ صوت معظمهم من النصارى حيث وعدهم بالقضاء على الأصولية الإسلامية، لكن لم يكتب له النجاح، وحسام قرقيرا نائب رئيس جمعية المشاريع الإسلامية، وكمال الحوت وعماد الدين حيدر وعبد الله البارودي وغيرهم.

ج- الأفكار والمعتقدات:

١- يزعم الأحباش أنهم على مذهب الإمام الشافعي في الفقه والاعتقاد ولكنهم في الحقيقة أبعد ما يكونون عن مذهب الإمام الشافعي رحمه الله. فهم يُؤولون صفات الله تعالى بلا ضابط شرعي فيؤولون الاستواء بالاستيلاء كالمعتزلة والجهمية.

٢- ويزعم الحبشي أن جبريل هو الذي أنشأ ألفاظ القرآن الكريم وليس الله تعالى، فالقرآن عنده ليس بكلام الله تعالى، وإنما هو عبارة عن كلام جبريل عليه السلام.

٣- يزعم الحبشي أن الله تعالى خلق الكون لا لحكمة، وأرسل الرسل لا لحكمة، وأن من ربط فعلاً من أفعال الله بالحكمة فهو مشرك.

٤- والأحباش في القدر جبرية، وفي مسألة الإيمان مرجئة يؤخرون العمل عن الإيمان ويبقى الرجل عندهم مؤمناً وإن ترك الصلاة وسائر الأركان.

٥- وتبعاً لذلك يقللون من شأن التحاكم للقوانين الوضعية المناقضة لحكم الله تعالى فيزعمون أن من لم يحكّم شرع الله في نفسه فلا يؤدي شيئاً من فرائض الله ولا يجتنب من المحرمات، ولكنه قال ولو مرة في العمر: لا إله إلا الله، فهذا مسلم مؤمن، ويقال له أيضاً: مؤمن مذنب.

٦- ويحث الأحباش الناس على التوجه إلى قبور الأموات والاستغاثة بهم وطلب قضاء الحوائج منهم، لأنهم في زعمهم يخرجون من قبورهم لقضاء حوائج المستغيثين بهم ثم يعودون إليها، كما يجيزون الاستعاذة بغير الله ويدعون للتبرك بالأحجار.

٧- ويكثرون الطعن في الصحابة وخاصة أم المؤمنين عائشة ومعاوية بن أبي سفيان وخالد بن الوليد وغيرهم من الصحابة بل يزعمون أن كل من قاتل عليا مات ميتة جاهلية. وفي

الوقت نفسه يحذرون أشد تحذير من تكفير سابِّ الصحابة، ولاسيما الشيخين، وما ذلك إلا إرضاءً للروافض وموافقة لهم وتملقا إليهم.

٨- كفّر الحبشي العديد من العلماء، فحكم على شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه كافر، وجعل من أول الواجبات على المكلف أن يعتقد كفره، ولذلك يحذر أشد التحذير من كتبه، وكذا الإمام الذهبي فهو عنده خبيث، كما يزعم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجرم قاتل كافر، ويرى أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني كافر، وكذلك الشيخ سيد سابق فيزعم أنه مجوسي كافر.

وأما ابن عربي صاحب مذهب وحدة الوجود ونظرية الحلول والاتحاد والذي شهد العلماء بكفره فيعتبره الحبشي شيخ الإسلام. كما يدعو الحبشي إلى الطريقة النقشبندية والرفاعية والصوفية.

٩- وقد أثار الأحباش في أمريكا وكندا فتنة تغيير القبلة حتى صارت لهم مساجد خاصة حيث حرفوا القبلة ٩٠ درجة وصاروا يتوجهون إلى عكس قبلة المسلمين حيث يعتقدون أن الأرض نصف كروية على شكل نصف البرتقالة، وفي لبنان يصلون في جماعات خاصة بهم بعد انتهاء جماعة المسجد، كما اشتهر عنهم ضرب أئمة المساجد والتطاول عليهم وإلقاء الدروس في مساجدهم لنشر أفكارهم رغماً عنهم. ويعملون على إثارة الشغب في المساجد، كل هذا بمدٍ وعونٍ من أعداء المسلمين بما يقدمون لهم من دعم ومؤازرة.

د- الانتشار ومواقع النفوذ:

ينتشر الأحباش في لبنان بصورة تثير الريبة، حيث انتشرت مدارسهم الضخمة وصارت حافلاتهم تملأ المدن وأبنية مدارسهم تفوق سعة المدارس الحكومية، علاوة على الرواتب المغرية لمن ينضم إليهم ويعمل معهم وأصبح لهم إذاعة في لبنان تبث أفكارهم وتدعو إلى مذهبهم، كما ينتشر أتباع الحبشي في أوروبا وأمريكا وقد أثاروا القلاقل في كندا واستراليا والسويد والدانمارك. كما أثاروا الفتن في لبنان بسبب فتوى شيخهم بتحويل اتجاه القبلة إلى جهة الشمال.

وقد بدأ انتشار أتباع هذا المذهب الضال في مناطق عدة من العالم حيثما وجد لبنانيون

في البداية، ثم بعض المضللين ممن يعجب بدعوة الحبشي[٩٧].

هذا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأزواجه وأصحابه وسلم تسليما كثيرا، ووفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(٩٧) انظر للتفصيل: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/٤٢٧-٤٣٢).